منطق الطـ(ير)البات

سعاد فهد السعيد

الكتاب : منطق الط(ير)البات (مجموعة قصصية)
المؤلف : سعاد فهد السعيد
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٥
رقم الإيداع : ٢٠١٤/٧٦١٦
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 185 - 7

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(+٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(+٢)
www.shams-group.net

الغلاف والصور الداخلية تصوير: سعاد فهد السعيد



منطق الطـ(ير)البات

مجموعة قصصية

سعاد فهد السعيد







سارة ناصر

رقم الملف: ١٥٤١١ سارة ناصر

الاسم: سارة ناصر سلمان

المهنة: طالبة في السنة الثانية الثانوية

العمر: ١٧ سنة

ترتيبها: الثالثة من خمسة أبناء

بنت وولد أكبر منها، وبنت وولد أصغر منها

قلما تنظر وجهًا لوجه إلى والديها، تحدثهما – لو جاءت مبادرة حديث منهما– صادة مصعرة وجهها، أو تجول ببصرها في كل الاتجاهات وتتحاشى التطلع إلى جهتهما، ولو انتبه والداها لوجدا أن آذانهما لم تُطرق بكلمة "أمي وأبي" فهي منذ وعتْ نبذتهما من حواسها، فقط تناديهما في وحشة غرفتها لتعلنهما بعذابها. وتراقبهما خفية – متى لهت أبصارهما عنها– في كل تحركاتهما وتعاتبهما بلا صوت وتلومهما على اختيار هذه الوظيفة، على قسوتهما في تجاهل مشاعرها والرعبِ الموزعِ في أجناب البيت المتدفقِ مع المياه الجارية فوق الأموات. تنظر إليهما على أنهما سبب تعاستها، وأنهما منحاها أقبح لقب (ابنة مُغسِّلي الموتى). ورسما في مخيلتها أبشع الصور صور الأموات وجثثهم الحائلة، فغدتْ منطوية تتجنب زميلاتها في المدرسة، لا تحدثهن، ولا تلعب معهن، تجلس في زوايا الفصول، وزوايا الأسوار، تهرب من كل مخاطبة لها تخوُّفًا أنه قد وصل إلى علمها أنها (ابنة غسَّالي الأموات).

آلم يوم في حياتها والذي جعلها تهاب كل متحدثة وتخشى كل مرافقة يوم صدمتها تلميذة في الفسحة تجلس قريبًا منها فابتعدت متلفظة "إني أتقزز من الأكل بجانبها، دائمًا أرى الجثث تدخل منزلهم".

المدرسة كابوس يومي تنتظر الجرس يرشقها برنينه لتفوق من تعاقب ساعاته التي تُفَتِّتْ أعصابَها وتُصدِّع تماسكَها، تستبشر

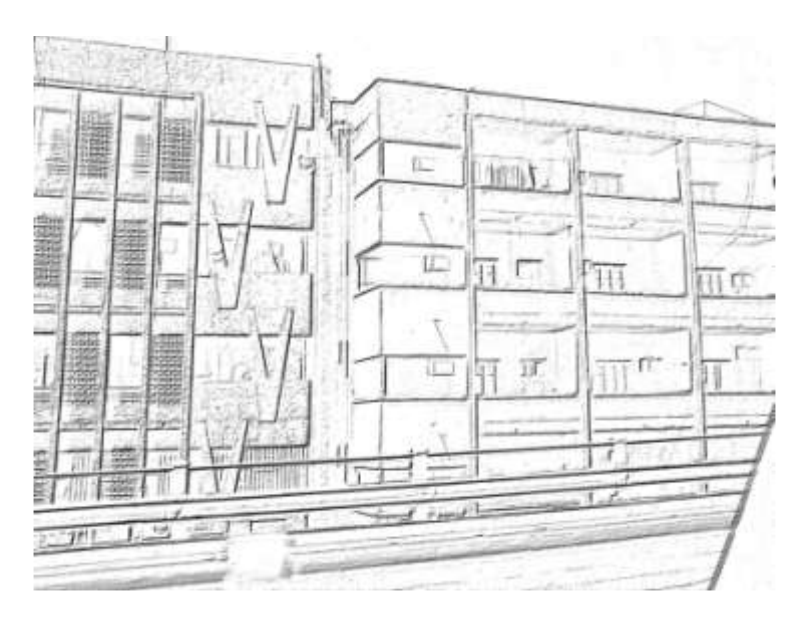
بتهالكها تدريجيًا دون أن تتقاسم الحديث عن عمل والديها، وتدخل في صراع مع ساعات أخرى؛ البَدْأَة ساعة ولوج البيت خاصة حين ترى سيارة تقف عند الباب والجثث تُنزل منها. رائحة أوراق السدر النشير في البيت تبث الكآبة في نفسها، وعندما تفوح رائحة المسك ينقبض صدرها فتمتنع عن الأكل والشرب، ارتبطت تلك الروائح ببَدْء مراسم مروعة. سمعت بمغاسل الأموات، ووَدَّتْ لو أن أمها وأباها يلتحقان بتلك المغاسل، لكنهما يحبَّان ممارسة الطقوس التقليدية في عملهما، الطقوس التي تذبحها. تذهب أمها أحيانًا إلى البيوت لتغسيل موتاهم، وكانت بهذا تغسل مخها وتوهم نفسها بأن أمها تذهب إلى مكان بعيد، فإذا جاءت فلا تحدثها ولا تسألها أين كانت، وما فعلت؟ وكذلك يفعل أبوها.

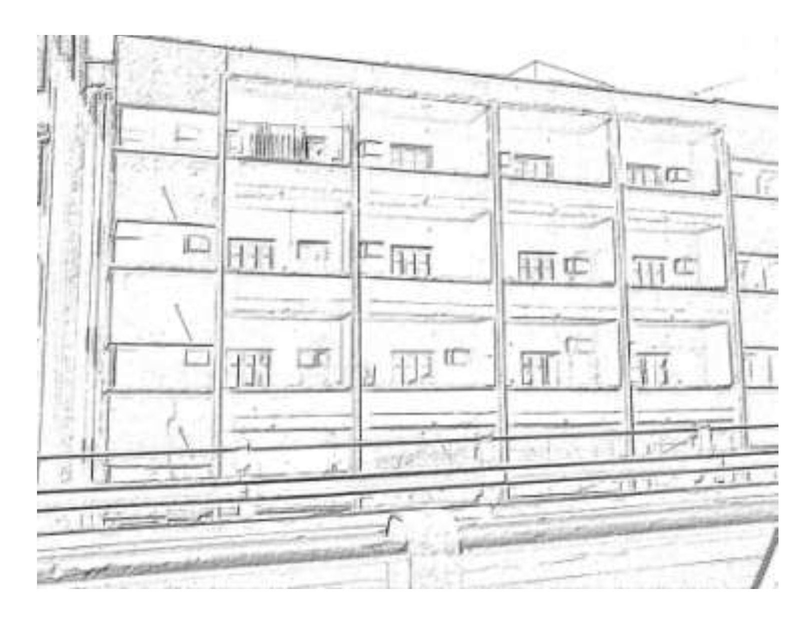
عندما تشاهد إخوتها الأصغر منها يأكلون تقول لهم "في الوقت الذي تصلون فيه الصف السادس الابتدائي ستُبغضون الأكل والشرب، وتقرفون من هذه الحلوى التي تتصارعون من أجلها".

لا تضحك ولا تبتسم ولا تلعب كالأطفال، متكورة في إحدى غرف البيت، وتحقد على الأطفال الذين تشاهدهم في التلفاز، وتلفاهم لا يشبهونها لأنهم لا يحترقون بمناظر خراطيم المياه وليف الدلك والصابون والأقمشة البيضاء وقوارير العطور المختلفة؛ الأدوات التي قهرت طفولتها بالخوف.

زهدت في مراهقتها عن متطلبات المراهقات من مكياج وموضات الأزياء والأحذية والحقائب، وإذا عرضت عليها أمها لتذهب وتشتري ما يحلو لها، ترفض قائلة "لا أريد" ولا تزيد هذه اللفظة، لا أريد الحياة في عيشة قاتمة تخنق البهجة، لا أريد من يعرض علي التجمل الخارجي، ويمنحني الخراب الداخلي، لا أريد من يُقدِّم إلي الزينة الجسدية، ويُشوِّه روحي بالحزن. اقتناء الملابس وأدوات الزينة لا يجلو قنوطها من منظر ازرقاق الأجسام وابيضاض الشفاه وزوغان الأبصار وتيبس الأعضاء، من رائحة أمها وأبيها، ترفضهما وترفض وجود جسدها معهما.

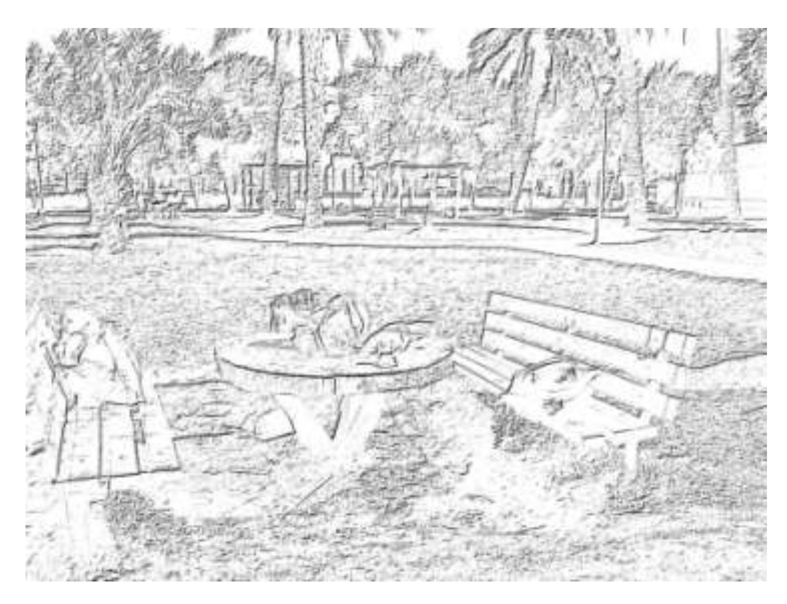
(١١)





الجامعة عالم آخر ليس مثل المدرسة التي تتبع الحي وكل من فيها يهمس بوظيفة والديها، دخلتها كدخول بلد أجنبي، في سفر عن حارتها، صارت متكتمة لم يسمع أحد عن عائلتها، الجميع يعرفها باسمها (جوهرة)، تدفن عائلتها مع مرورها ببوابتها. مع أنها كانت تزهد في الأشياء الجديدة لأنها لا تجد لها قيمة في بيئة عائلية يعبر الخلقُ خِلالها من الهواء إلى التراب؛ بَدَأَت في الجامعة تسعد ولو بشكلٍ قليل بكل ما يستهوي الشابات، لا بأس بالصداقات التي تُجهل فيها العائلات، لا مانع من الصديقات اللائي لا يعرفن شيئًا عن الحياة الخاصة، ولا يسألن عن الخصوصيات؛ تآلفت مع طالبة، وصارت مرافقة لها وصديقة مقربة. تكثر صديقتها من ترداد اسم أخيها عبر نقل أخباره، حتى أنها في بعض الأحيان عندما

تتصل بها تقول "اسمعي أخي! ما يقول! هاكِ انصحيه ليكفَّ عن مضايقتي بمقالبه! دافعي عن صديقتك الغالية من تظارف أخيها المزعج". كان إعجابها بالشاب كإعجاب فتاة بمذيع أو مطرب أو لاعب كرة، لا تسمح لمخيلتها بالحفر وإخراج الأحلام، سايرتها مخيلتُها فجعلت تربتها صلبة. وهذا الدفن للمشاعر والأحاسيس صار تبلدًا تلقائيًّا لا يسبب لها مضايقة فهي متكيفة معه، بل ويجعلها أكثر انبساطًا وتقبُّلاً للحياة. بعد كل مكالمة تسمع فيها أخبارَ أخي صديقتها أو صوته تجلس أمام المرآة وتفلي خصلات شعرها وأطرافه، لا مُحفِّزَ لتسريحه، كلما أمسكت بالمشط تظهر صورة أمها وهي تُرجِّل شعورَ الجثث وتضفرها جدائلَ مسترخية باسترخاء عالمهن. مقتت تجميله.



بينا تجلسان ذات يوم في حديقة الجامعة تشرب صديقتها الشاي مع وجبتها، في حين (جوهرة) بلا شهية، لم تمس وجبتها، فوجئت بصديقتها تضع طبق البطاطس المقلي أمامها وتدعوها لتشاركها في الأكل، كانت هذه الدعوة صدمة، تخدَّرت للحظات تصن في أذنيها "أقرف من الأكل بجوار ابنة مُغسِّلي الموتى" لم تمد يدها، وشكرت صديقتها، التي ظلت تلح عليها حتى باغتتها قائلة "(جوهرة) ما رأيك لو أخطبك إلى أخي؟" أطالت (جوهرة) السكوت، ولم يكن من فجاءة ألمت بها أو فرحةٍ تكتمها أو حزن تبطنه، بل قناعة منها باستحالة الأمر، لا تطلب شيئًا في هذه الدنيا مادام والداها يتنفسان خليط الحياة بالموت، وحالما ينفد نفس الحياة عندهما ستفكر بالحياة، حتى دخول الجامعة لم يكن من الأمور المحببة لها أو الأُمنية السعيدة، لا فرق عندها أن تجلس في البيت أو تلتحق بالجامعة، بل إن أيام المدرسة كانت أيامَ شقاء ومن المراحل المقيتة. وردت بكل اقتناع ودون تردد "أخوكِ ظريف وحبيب، لكن لا أرغب في الزواج".

-"لمَ يا جوهرة؟ فكري في الموضوع! ألا تودين أن نكون الصديقتين الدائمتين في الجامعة وخارجها؟".



(جوهرة) لا تحب صديقتها ولا تكرهها، شعورها تجاهها عادي؛ سواءً عندها انفصلت عنها أم لازمتها، ومبادرة الصداقة جاءت من الصديقة، تقبلتها فليس في الأمر ما يزعج مادامت لا تعرف عائلتها. قالت الصديقة: "على حين غرة ودون مقدمات سترييننا في منزلكم نطلب يدك".

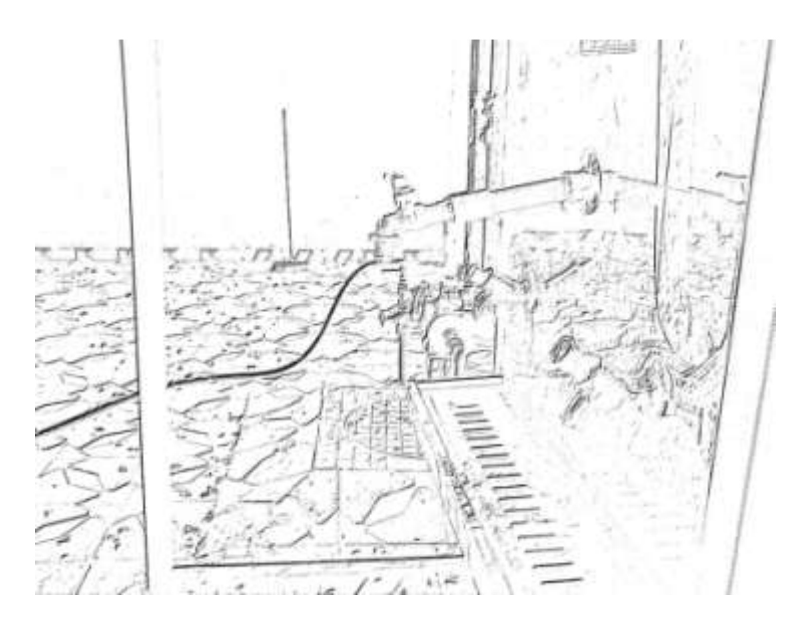
وأحسَّت (جوهرة) أن كتلَ تراب تضغطها داخل قبر.

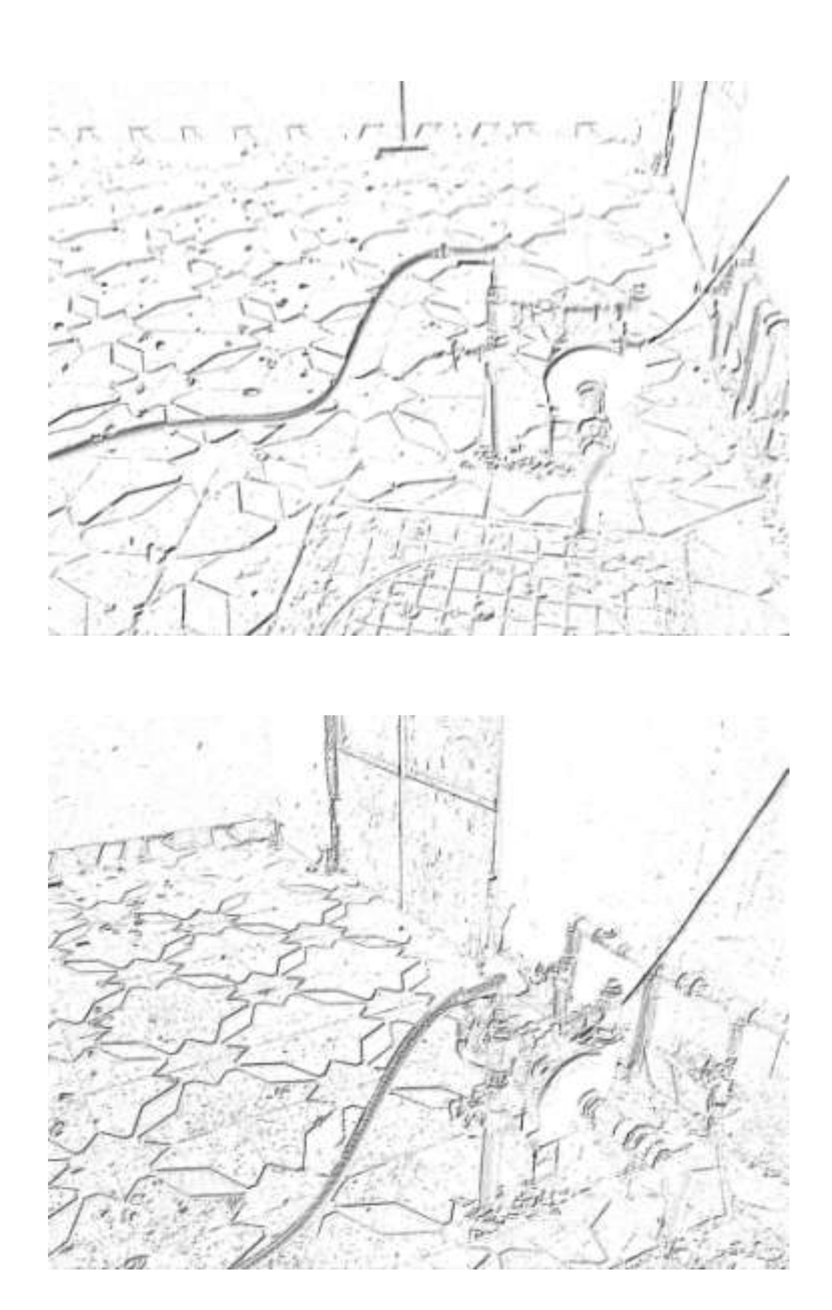
دخلت غرفتها، ووجدت على تسريحتها أغراضًا جديدة؛ علبة مكياج وأدوات زينة، وإكسسوارات، سألت أمها عن هذه الأغراض، وأجابتها بأنها اشترتها عندما خرجت من مستشفى تشهد احتضار إحدى المريضات، قالت جوهرة "أرجوك لا تحضري لي شيئًا، لا أريد

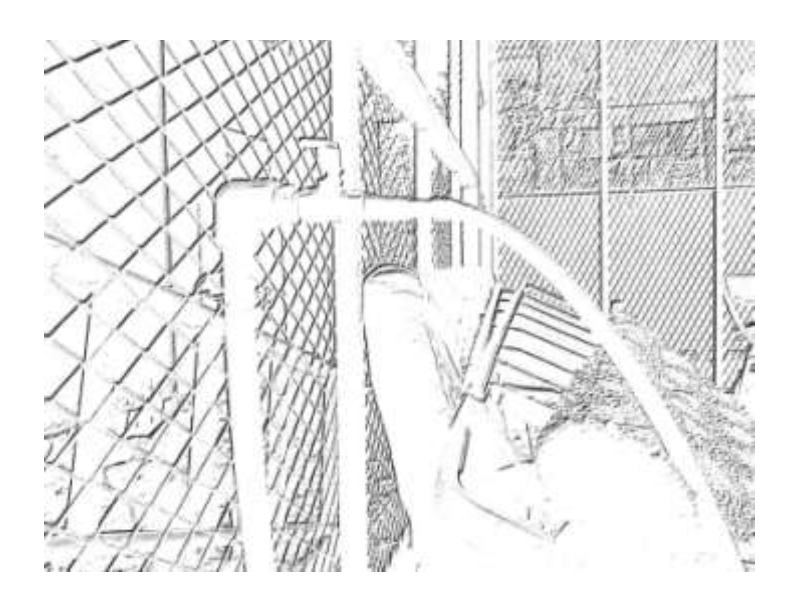
شيئًا، فقط أريد أن أموت.. أعيش إلى يوم مماتي وتغسلينني وتكفينني ويأخذني والدي ويسقطني في حفرة ويهيل التراب علي". ثم رمت بالأغراض خارج الغرفة وأغلقت الباب، وصاحت بصرخة مكتومة بالمخدة "أنا أكرهك يا أمي.. أنا أكرهك يا أبي.. لماذا أنتما والداي.. لا أحبكما.. أمقتكما يا ليتكما تموتان وأرتاح منكما.. آه لو تموتان! لو تصدمكما سيارة في الطريق! آه لو ينهدم عليكما المسكن.. تحترقان.. صديقاتي يتقززن مني وأنا أقرف منكما.

أفاقت من نوبة البكاء التي أخذتها في غفوة طويلة منذ مجيئها من الجامعة إلى هذا الوقت من الليل. في عتمة الغرفة بدأت تفكر في طريقة للخلاص من بيت الأشباح ومن رائحة السدر وشم المسك، من منظر أبيها وهو يتردد من غرفة تغسيل الأموات الملحقة بحوش البيت إلى داخل المسكن، من منظر أمها التي هيَّأت هي أيضًا حجرة في الوحش لغسل الموتى من الإناث، غرفتان في المسكن الذي تنام فيه وتأكل وتشرب مخصصتان للأموات، غرفة للموتى الرجال، وأخرى للموتى الإناث – حقدها على أمها يفوق حقدها على أبيها مع أنهما لهما نفس الوظيفة ذلك أن أمها ترغمها دون قصد على معايشة تلك الطقوس المفزعة، تنادي عليها أحيانًا لتطلب منها بعض الأشياء في أثناء عملها، فتطلب إحضار الصابونة وأحيانًا الليفة، فترضخ بكل ألم –.

قرَّرت أولاً ترك الجامعة، فلن تذهب من هذا اليوم إليها، وبيَّتت النية في ضحاه؛ فبينما إخوتها في المدرسة، ووالدها خارج المنزل، وأمها تنتظر وصول جثمان، سبقت أمَّها إلى غرفة التغسيل ودعكت أرضيتها بمسحوق التنظيف، فلما دخلت الأم لتجهيز الغرفة، وفي أثناء تحركها تَغفَّلَتْها وبللت أرض الحجرة بعد أن عرفت المسافة بين أمها وصنبور الماء الذي يمتد فيه الخرطوم، فتزحلقت الأم وتحاشت عند سقوطها الحنفية، فاصطدمت بالجدار فدفعتها البنت إلى الحنفية فصكت رأسَها ورشق الدم، وانتظرت ريثما تسيل الدماء، وتفقد الكثير منها.



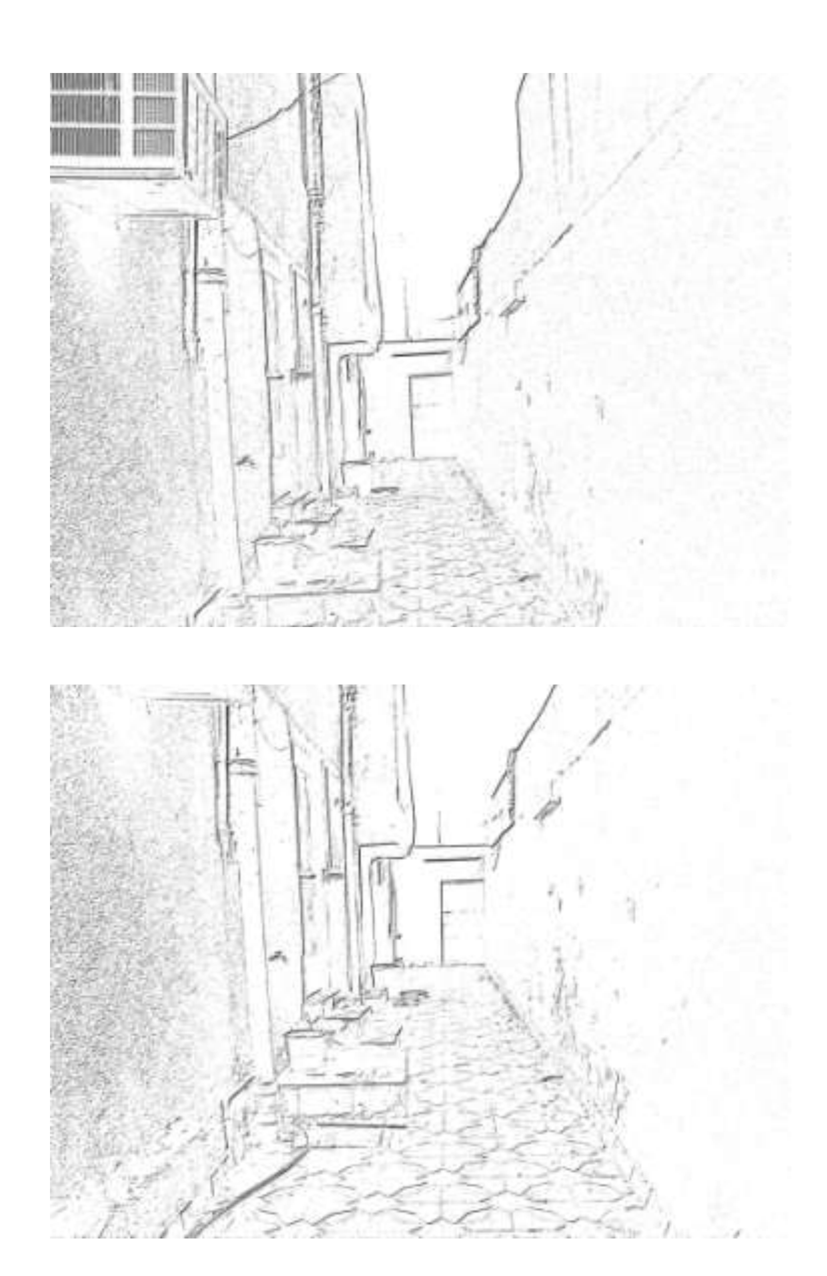




(١٢)

عادت إلى غرفتها، وحين سمعت طرق الباب وبعد فترة طويلة من الطرق خرجت لتفتح؛ فإذا بعائلة الميتة ومعها الجثمان، قالت: "لحظة سأنادي أمي أنها تغسل أرضية الغرفة وتنظفها استعدادًا لكم، تفضلوا!". وحالما وقفت بباب الغرفة مع العائلة صرخت وهُرِعت إلى أمها تنادي: "أمي أمي ساعدوني أرجوكم، أمي مغمى عليها، أمي تنزف" وأسرعت تطلب أباها بالهاتف.

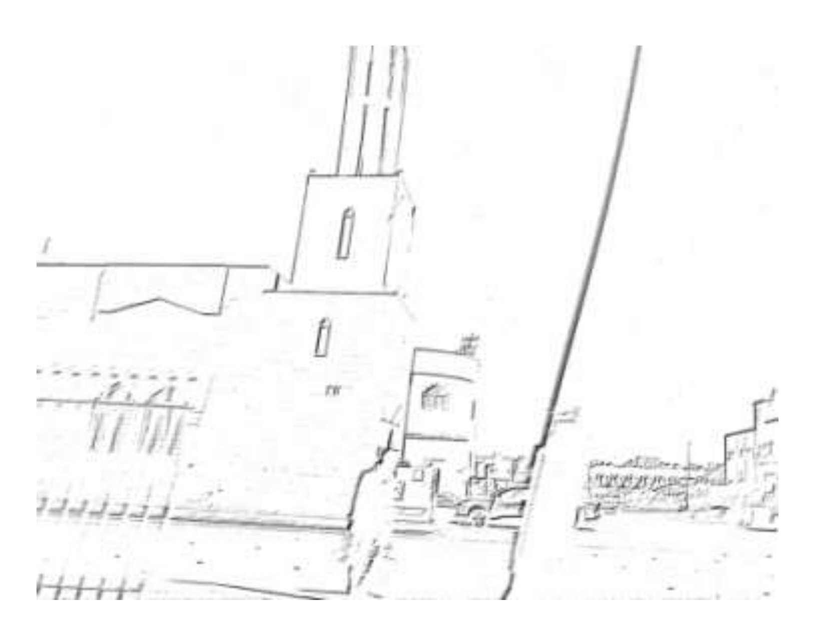
جاءت الإسعاف وأعلن الطبيب وفاة الأم بسبب سقوطها على آلة صلبة تسببت في إصابتها بجرح بالغ نزفت على إثره نزفًا مستمرًا حتى فارقت الحياة. جاءت الشرطة، وقال الأب: "هي معتادة على تنظيف غرفة التغسيل وغسلها قبل استقبال الزبائن".

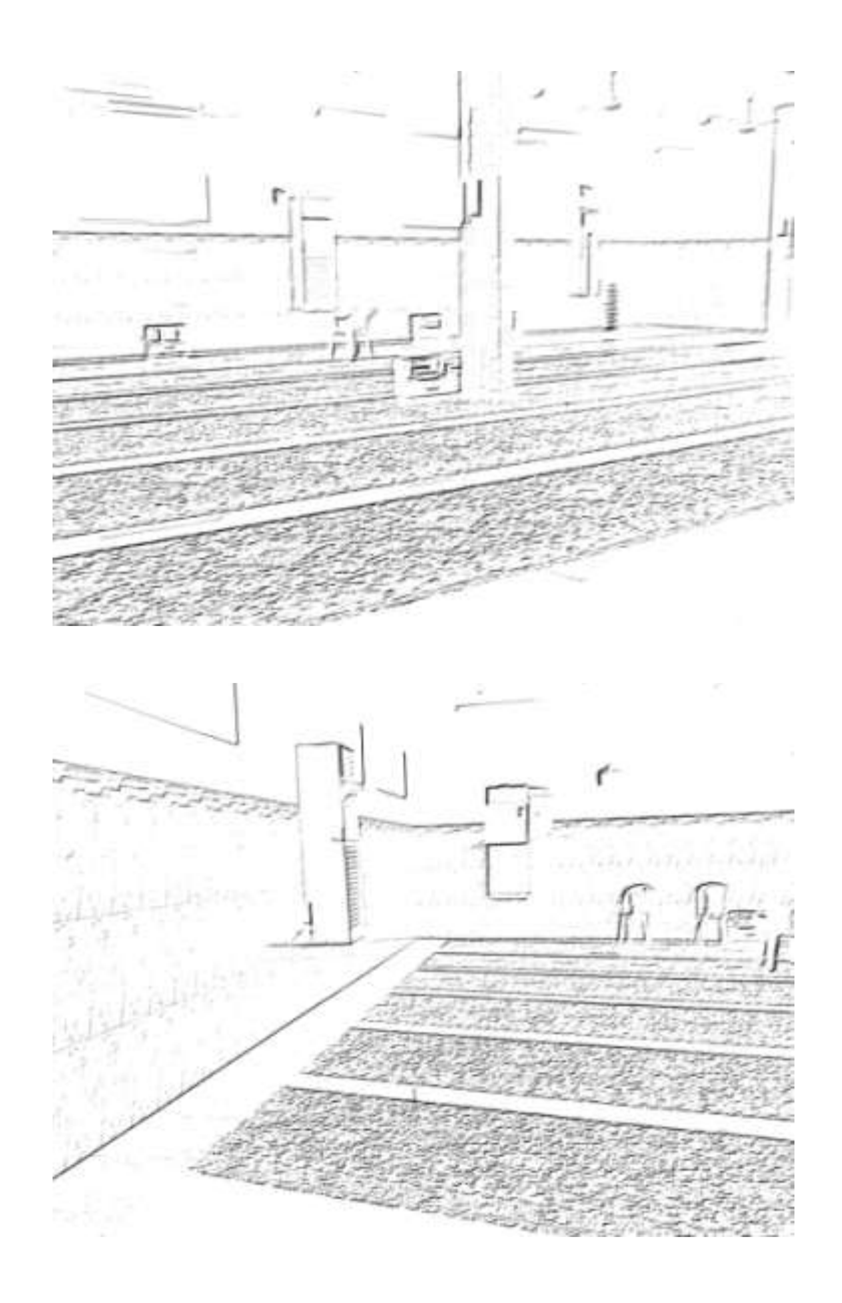


يد أصغر إخوتها تهز كتفها في اليوم الثالث من وفاة أمها، ويقول: "أبي يطلبك في الحوش". استقبلها أبوها بقوله: "بارك الله فيك يا ابنتي، اتبعيني". ودخل معها غرفة غسيل موتى الإناث، فرأت أمها مسطحة، فعرفت غرض والدها، لكن صمتت لينطق بطلبه، ولم يطل حتى قال: "بارك الله فيك، اغسلي أمك". وشرح لها طريقة الغُسل. كانت تعرف أن ملف الطب الشرعي موارب ولم يُحكم إغلاقه، وحتى يُقفل ويَضيع مفتاحه لا بد أن تخضع لمطلبه، خرج أبوها، فأقامت ثلاثة جدران قبل اقترابها من الجسد المتجمد بفعل بُقْيَاه في ثلاجة المشرحة إذ تسلَّمه الأب قبل قليل؛ الجدار الأول أقامته على عقلها ليصطدم به الزمن ويتوقف فلا تتموج الأحداث العالقة به بين القبل والآن والبعد، والجدار الثاني على عينيها ليغطي كُنْهَ الجرم المتمدد أمامها لبشرٍ يكون أو قطعة أثاث، والجدار الثالث على روحها ليحجز مشاعرَها سواء ما يؤدي منها إلى الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير واقتراف الخطيئة، أو التي تؤدي إلى الانشراح بالانتقام، والعزاء بالتخلص من مسبب تعاستها، والتفريج بالخلاص.

غسَّلتها، ليس بالكيفية التي أرشدها إليها أبوها؛ مررت خرطوم الماء ليغمر الجسد ذهابًا وإيابًا. في حين لم يثر فيها الجسدُ الخائر بخرمه البنفسجي في مؤخرة الجمجمة نزيزَ المشاعر؛ هزها مرأى الصنبور لمَّا التفتت لتحبس الماء، وشرخ الحيطان الثلاثة لثوانٍ،

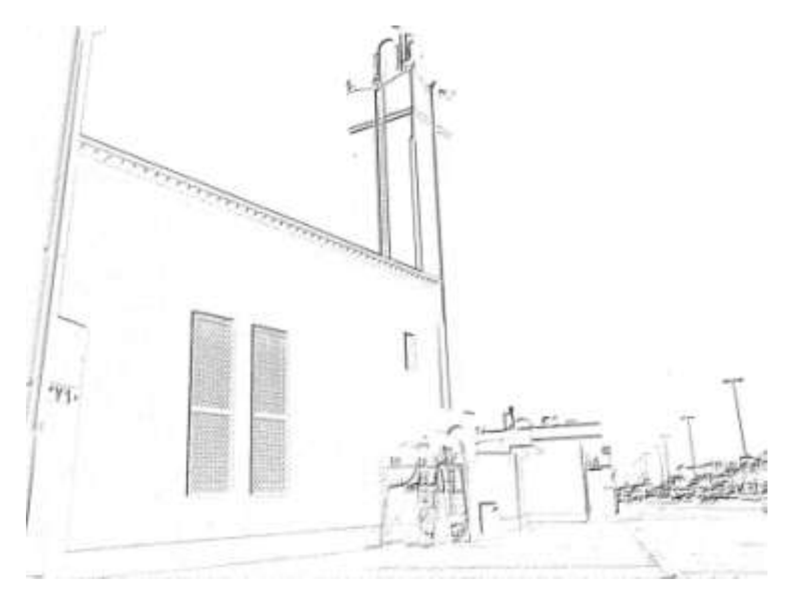
فألفت نفسها في ساعة ضحى في غرفة تغسيل الأموات تمارس عملية الغسل على جسد أمها وأن منفذًا في النخاع هي التي أحدثته لتمر منه روح أمها ويغيب جسمها إلى الأبد عن عينيها وعن البيت، وأحسَّت بالقهر الخالي من الندم، فتداركت نفسها وزادت من سماكة الحوائط، ولفَّت أمها في الكفن وخرجت متجاهلة إعلام أبيها الذي جاء قبيل صلاة الظهر وحمل الجنازة.

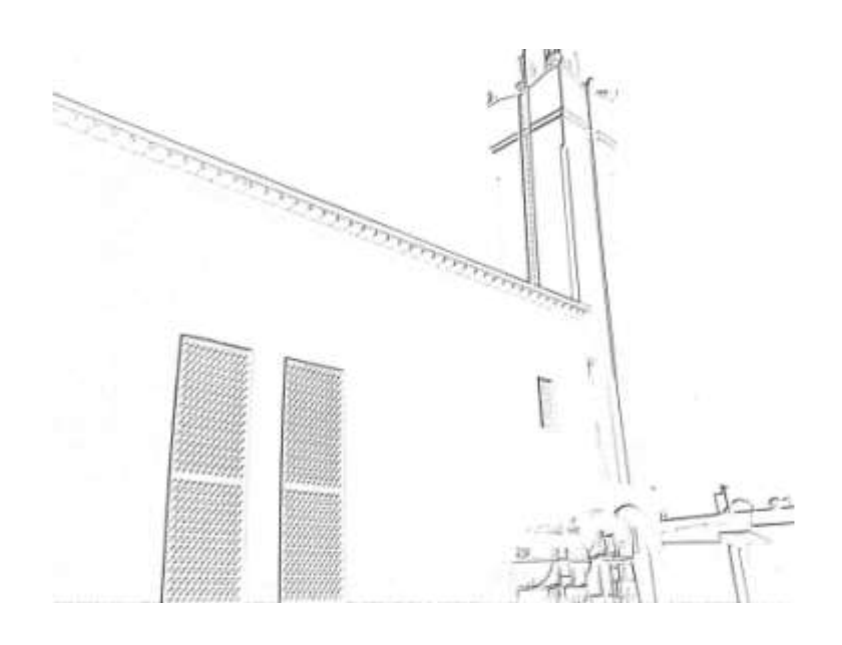




بعد أسبوع ناداها أبوها وقال: "يا ابنتي، أنتِ تركتِ الجامعة، فلِمَ لا تمسكين مكان أمك في العمل؟". تأججت وكادت تنفجر في وجهه هاجمةً ممزقةً له، لكن الشرطة لم تبرح دارهم طوال هذا الأسبوع تأخذ الأقوال وتعاين، وكأن في الموت لغزًا، فلمْ ترفض إبعادًا لشبهة بُغض عمل والدتها. وخيّرها بين العمل مُغسِّلة موتى في المنزل، أو غسَّالة موتى في المغاسل الخارجية، قالت: "بل أفضّل المغاسل الخارجية". قال: "على راحتك".

أخذها في الغد إلى المَغْسَلة، وقال: "لقد اتفقتُ مع صاحب المَغسَلة على كل شيء فقط اذهبي إلى فلانة لترفقك بالعمل وتشرح لك الأمور".





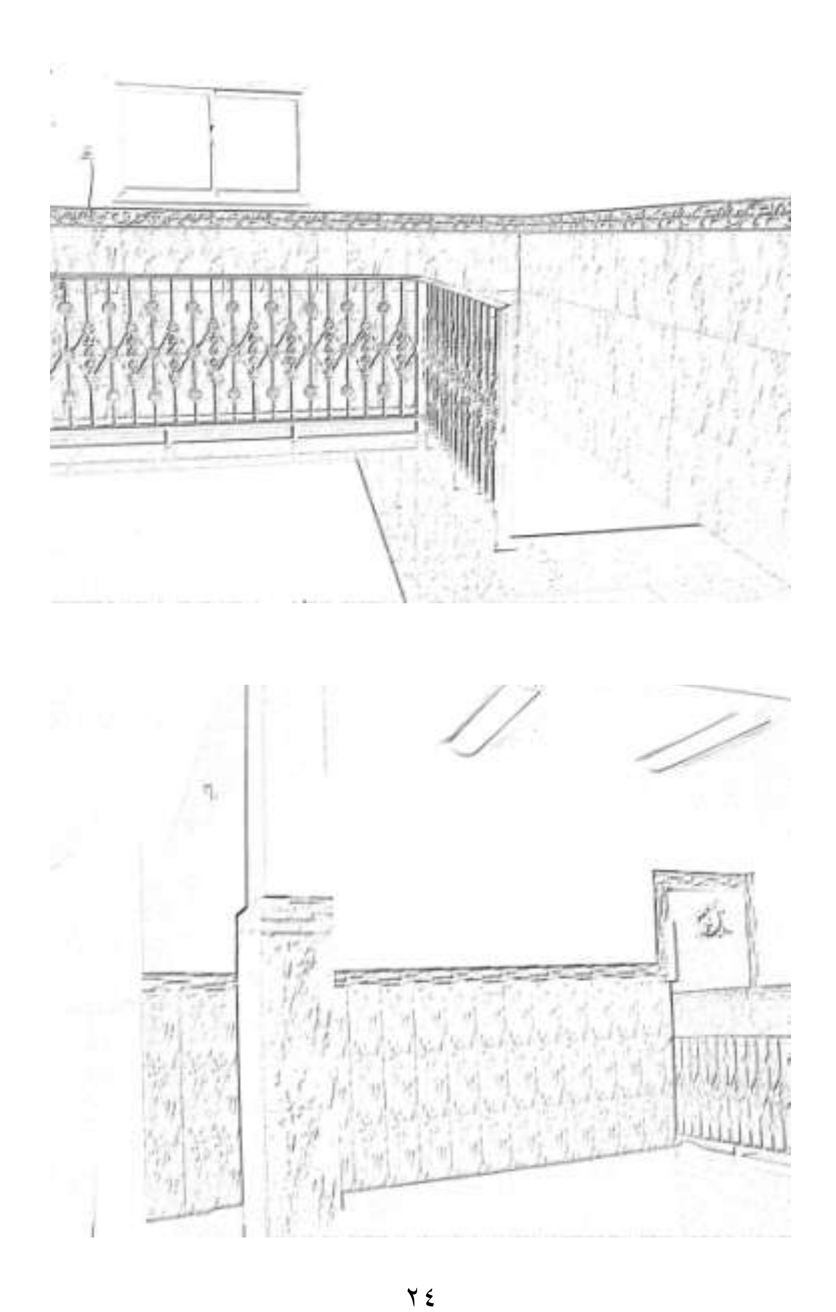
مرَّتْ تسعة أشهر وهي تعمل مُغسِّلة أموات، أهملت فيها إخوتها الأصغر منها، تدخل البيت دون أن تعطيهم فرصةَ نشدانِها حاجتهم، وتخرج منه صامتة، حتى نظرها لا يعيهم، يكتفي إخوتها بأكل الخبز الذي يحضره والدهم مع المعلبات والأشياء الفورية التحضير التي لا تحتاج إلى طبخ، فقط تحتاج إلى تسخين أو تقليب على النار، لا تدري من ذهب منهم صباحًا إلى المدرسة ومن عاد في الظهيرة. تظل بالثلاثة الأيام والأربعة لا يستقبل جسمُها الطعام، ومتى تذكرت حق بدنها تناولت قطعة خبز مع المربى أو الجبن، ولا غضاضة في تناولها حافة. قصت شعرها

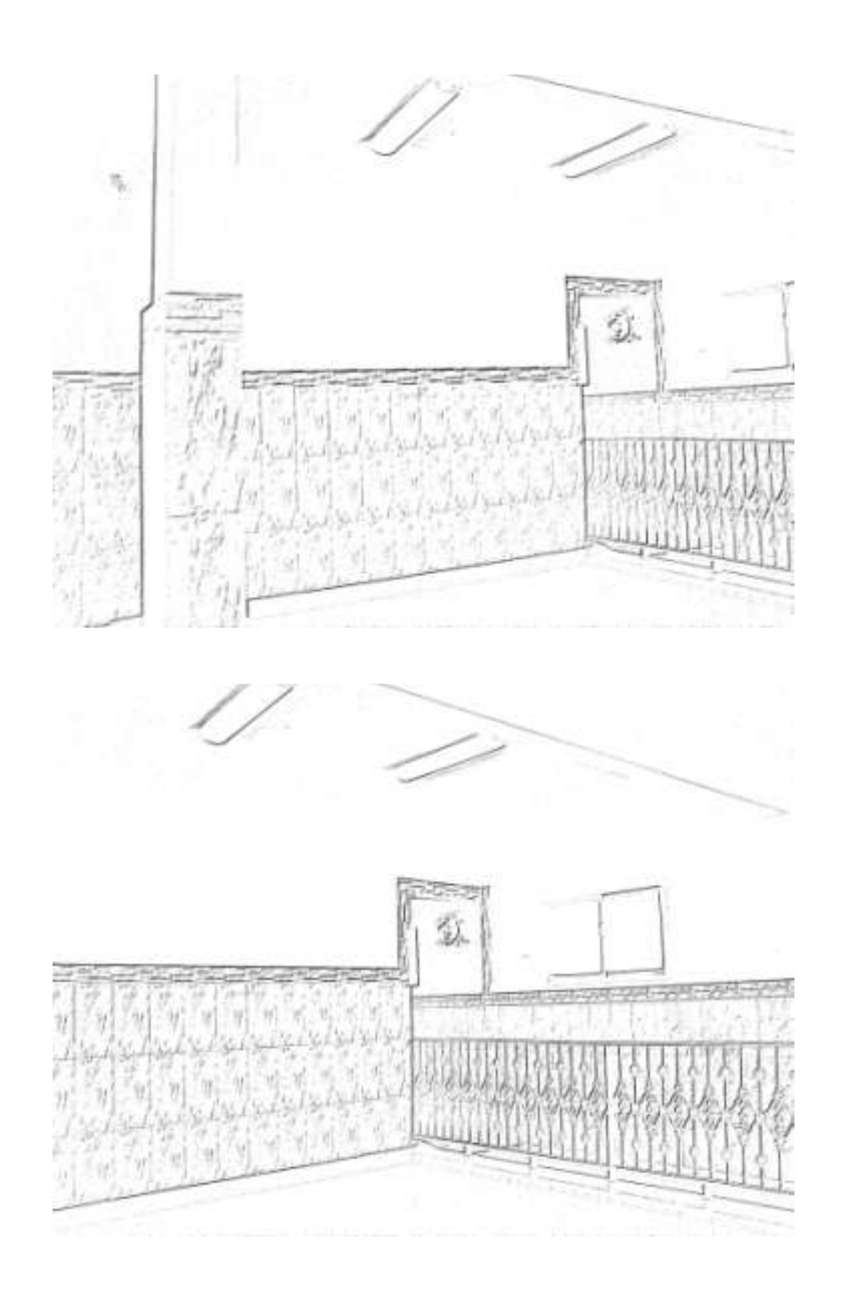
حتى لا تحتاج إلى تمشيطه، وفي العمل تلفه بالطرحة وتنساها أحيانًا ملفوفة على رأسها في البيت، بل وداخل غرفتها.

(١٣)

أخبرتها المشرفة ذات يوم وهي في مَغسَلَة الموتى أن ثمة سيارة إسعاف قد وصلت، وعليها تولي غُسل الجنازة...

أُدخلت الجثة وبرفقتها خمس نساء؛ امرأة متوسطة العمر باديًا عليها القنوط والتأثر. وضعت (جوهرة) الجثمان للتجهيز، وجاءت عيناها على عيني شابة، كانت صديقتها، الجثمان لامرأة عجوز فعرفت أن المرأة المتأثرة ابنتها، وأنها أم صديقتها، وربما الثلاث الباقيات يكن الخالات. كأنها وصديقتها لم تكونا يومًا رفيقتين حميمتين في الجامعة، وكأنها لم تعزم عليها يومًا بطبق البطاطس المقلي ليقتسما الطعام معًا، وكأنها لم تطلبها زوجة لأخيها، كلتاهما تتجاهل الأخرى وتتنكر لها. لم يبدُ على الصديقة التأثر والحزن على جدتها، ولم يبدُ على (جوهرة) الإحراج من عملها، ومارست طقوس الغسل والتكفين بكل مرونة وثبات، وغادرت المكان إلى غرفة أخرى في المَغسَلَة.





في طريق عودتها إلى المسكن استنكرت عدم سؤال صديقتها عن سبب تركها الجامعة، وعن سبب عملها هذا، فتأكدت أنهما الآن في عالمين؛ عالم حي تعيش فيه صديقتها، وعالم الأموات تعيش فيه هي والجثث، لذلك صعبٌ استقبالُ كل واحدة منها الأخرى وإقامةُ حوار معها.



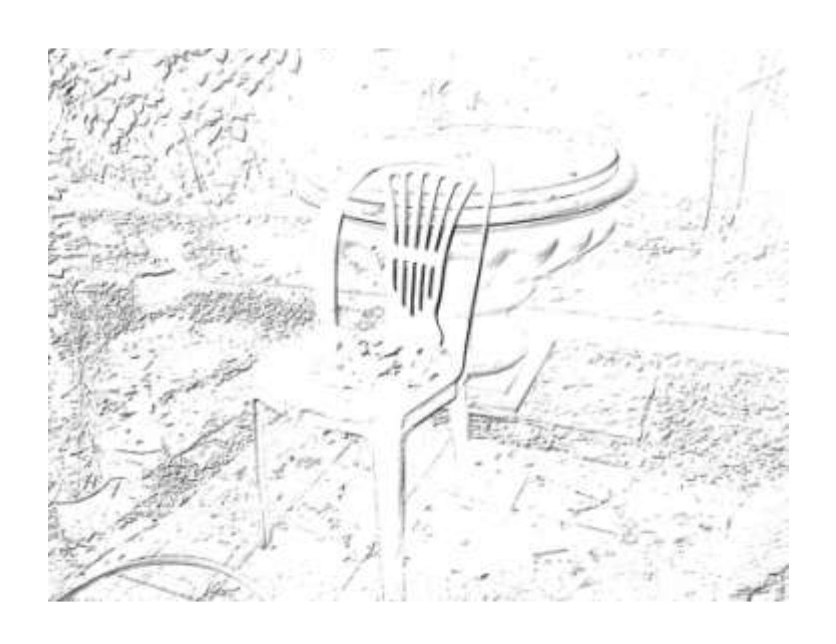
عند مدخل البيت شاهدت أباها فردَّدت: "أكرهك يا أبي، أمقتك يا أبي"، ودلفت داخلاً، وقالت بصوتٍ عالٍ وهي تلج غرفتها: "ليتني أقتل الأموات". وصلتها ضحكةُ أخيها مع تسكيرها الباب، شمَّتْ ألبستها ويديها فشمَّتْ فيها بقايا روائح الموت؛ رائحة ورق السدر والمسك، فانقبض قلبها وانحدرت نحو ظلمات ذات طنين صاخب، ثم قبت من ذاك المنحدر وهي تردِّد: "أكرهك يا أبي، أبغضك".

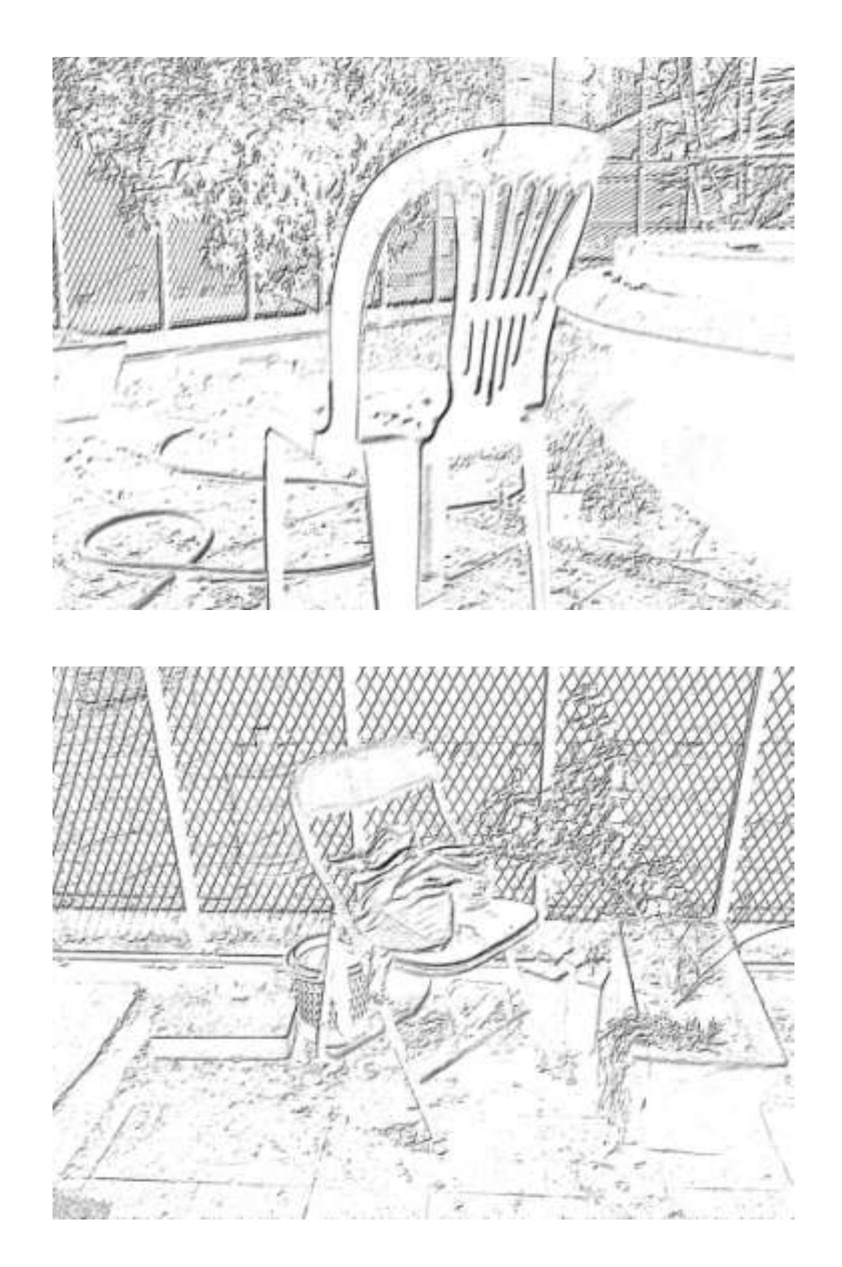
جاء النهار ولم تنم ولم تبكِ مثل تلك الليلة التي رسمت فيها مقتل أمها، نفضت الأغطية المندسة فيها، وخرجت من لهيب حجرتها حالما اطمأنت أن إخوتها غادروا إلى مدارسهم عدا الأصغر منها الغاطس في النوم، وكانت تعلم أنه سيكون مستغرقًا في نومه لسهره إلى استطارة الفجر.

ولجت المطبخ وأخذت أكبر القدور، وارتقت الأرفف السفلية ووضعت القدر الكبير فوق الأرفف العلوية، ثم صفت في جوفه صحون الصين الثقيلة الواحد تلو الآخر ثم غطته ونزلت ووضعت كرسيًّا على الأرض مباشرة باتجاه القدر، ثم خرجت إلى الحوش تنادي أباها الذي يبتكر بعض التركيبات العطرية ويقص أمتار الأكفان ويصنع النعوش، فوالدها بالإضافة إلى عمله كمُغسِّل للموتى يعمل حفار قبورٍ، يُلْحِد الأمواتَ في أجداثهم. أقبل عليها من غرفة التغسيل، فقالت: "عجزت عن الوصول إلى القدر في أعلى أرفف المطبخ، هل لك سحبه وإنزاله". صعد الكرسيَّ –المقام سلفًا– مرتكزًا على أصابع قدميه، مدَّ يده وسحب القدر وأماله باتجاهه، فضربت إحدى أرجل الكرسي بقوة صاعقة، اهتز أبوها واضطرب القدر بين يديه واختل توازنه وسقط، ولما كان الصنبور بعيدًا عن أمها ودفعتها إليه، كان أبوها بعيدًا عن حافة زاوية الرفوف السفلى الحادة فدفعته في أثناء تهاويه إليها، فتناءى عنها محاولاً التشبث بأبواب الرفوف العليا فسحبت رجليه بشدة ليصدم

رأسُه الحافةَ ويرتطم في الأرض متراطشًا دمُه على البلاط، فتكرر منظر نزف أمها لكن هذه المرة لا تستطيع الانتظار حتى تستنزف دمه ثم تطلب النجدة من أخيها فالمطبخ ليس من اختصاصات والدها، بل وجوده فيه يَلزم وَزُوعًا منها، بعكس تواجد أمها في غرفة غسل الموتى حيث من اختصاصاتها تنظيف الغرفة. أبطأت على أخيها الذي هُرِع إلى المطبخ وصرخ فيها لتطلب الإسعاف.

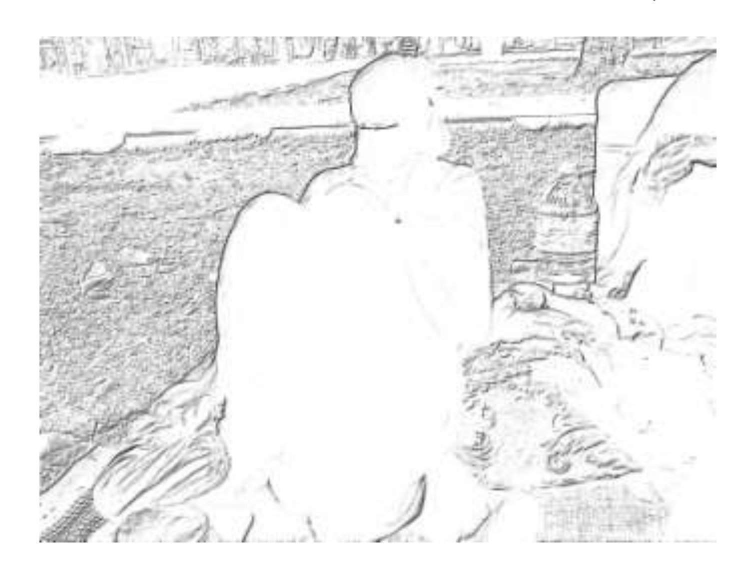
تكرَّر سيناريو موت أمها، وقرّرت كي تذهب الاشتباه في وفاة أبيها الإبقاءَ على عملها لبضعة أشهر حتى نسيان موضوع مقتل الأب، وقفل ملف التحقيق.





عادت إلى العمل بعد تركها إياه بعد حفظ التحقيقات، عادت بعد أن وجدت درج النقود فارغًا من المال، والبيت أقفر، ولم تجد ما تعيش به هي وإخوتها الأصغر منها، الأخ الأصغر مباشرة لايزال يطرق أبواب المؤسسات والشركات والوزارات، أما البقية فمازالوا على مقاعد الدراسة؛ مجبرة على الصرف ليس حبًّا فيهم وشفقة، بل تراه دورها ولا بد من ممارسته.

ألفت البحث عن عمل آخر في غاية الصعوبة والمشقة، وأن عملها في مَغسَلة الأموات جاهز، خبرت طريقة العمل، وحتى المواصلات منه وإليه متوفرة لا تحتاج عناء.



(١٤)

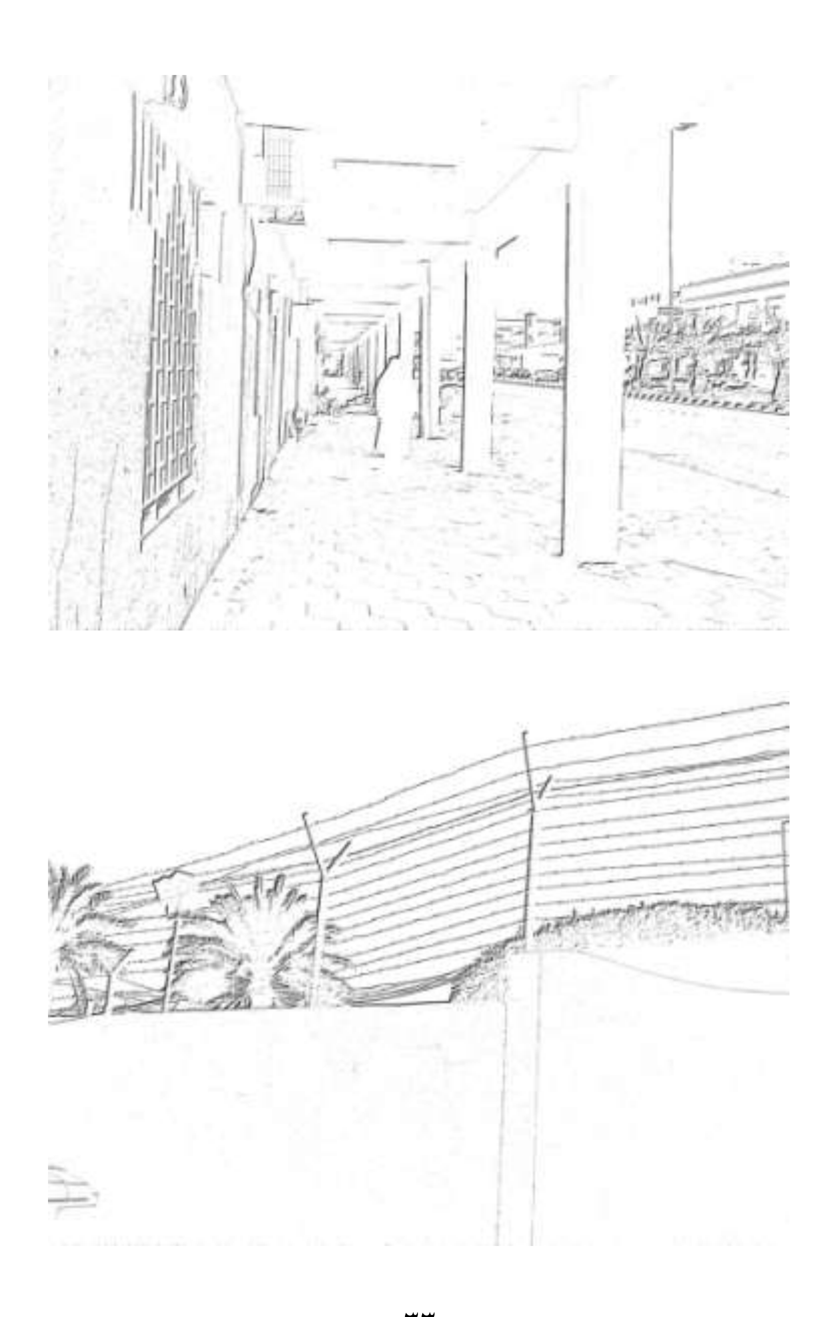
- أرى أنه لا حاجة أن ترفق الصفحات (١١) و(١٢) و(١٣) و(١٤) في الملف لأنها لا تخص الحالة.
- ♦ بالعكس يا حضرة المديرة هذه الصفحات ضرورية، بما أني أستاذة علم اجتماع أجد أن معرفة البيئة التي تعيش فيها الحالة والمحيطين بها تُسهّل عملية الدراسة والتقويم.
- ♣ نعم، أنا مع الدكتورة رقية في إبقاء تلك الأوراق ضمن الملف، ومادام الدكتورة ذكرت الاختصاص، فأنا كذلك بصفتي أستاذة علم نفس أجد هذه الصفحات مهمة لمعرفة نفسيات المتعايشين معها، لذلك أنا قلقة من المرض النفسي الذي أصاب أختها وأودى بها إلى الانتحار أن ينتقل إلى (سارة) وتُقدِم على الانتحار، خاصة وأني لاحظت سعادتها بموت والديها وقد استغربت ذلك الفرح، لا وبل ذلك التواطؤ الذي جعل (سارة) تَكتُم سرَّ أختها في حياتها، لذا أرى أنا من واجبنا البدء بمرحلة علاجٍ قبل التأهيل.
- ♦ مع أنك يا دكتورة سحر أيَّدتني في أهمية هذه الصفحات التي تخص (جوهرة) أخت سارة، أخالفك في مسألة انتحارها، أنت نفسك ذكرت غبطة (سارة) بمقتل والديها؛ فهذه البهجة والتي أسميها أنا دليل الرضا، بالإضافة إلى ما سمعته منها فعندما تسرب الغاز ذكرت "أنها كانت تنظف السطح، وأختها (جوهرة) نائمة، والأخ الذي يكبرها ذهب إلى موعد في المعهد، والأخت والأخ الأصغر منها في المدرسة"، وجودها في السطح هربًا من

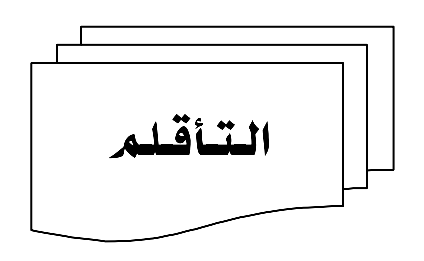
رائحة الغاز الذي تنتظره يعم البيت ويقتل أختها النائمة، ونزولها منه كان مباشرة إلى الشارع تستنجد –لقد أحاطت نفسها بحماية من استنشاق الغاز– ولا أنسى أنها ذكرت بَغَاضَة عمل أختها، فعملها كما قالت "مريع"؛ كل هذه الأمور تجعلني أظن أنها وراء مقتل أختها.

♣ لا، أنت بهذا، ذهبت بعيدًا، حتى لم يبق إلا أن تقولي، فاضطرت إلى غسل أختها حتى لا يشك فيها أحد.

♦ تسخرين يا سحر! فكيف لو ذهبتْ ظنوني أبعد من قَتْلِها أختَها، وخصوصًا أنك أنت من أثار موضوع السر المكتوم، وإذا كنتِ لاحظتِ حبسها لسر أختها في حياتها، فأنا استنكرت إفراجها عنه في هذا الملف وبعد انتحار أختها. واطمئني يا دكتورة، المنتحر حسب علمي لا يغسل.







ينهق الحمار مستعجلاً العربجي؛ فأنتفضُ وألامسُ قفا مصراع الباب أمامي، يستدير منزعجًا: (لو سمحتِ!)، أهزُّ رأسي علامة (مفهوم الكلام)، يتمايل من الملل الواقف خلفي فيحتك كيس البرتقال بظهري، التفتّ له..

- (آسف!!)

ابتسمتُ له غير منزعجة.

يتحرك الحمار بالعربجي ومصراع الباب وأنا وصاحب البرتقال، هذه تجربة أولى مع طابور العيش؛ الأهوج في رأسي ركبني اليوم.

هجم عليّ أطفال الحارة (أنا يا أبلا، أنا ياأبلا ....) خرجتُ من وسط معمعتهم بأكياس خفيفة. فتحي حمل الأكياس... عند باب الشقة: (شكرًا حبيبي)، لم يتحلحل، أخذتُ الأكياس، فتحتُ كيسًا وأعطيته موزة وأعدتُ: (شكرًا حبيبي) ولم يتلحلح، طلب ماء....

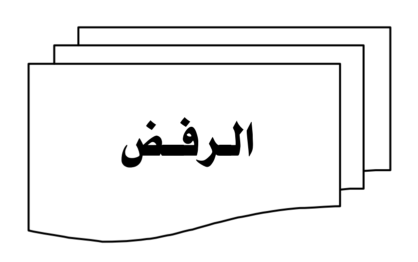
قلتُ له في الشقة: (سأدخلُ غرفتي أبدل ملابسي وأرتاح؛ إذا خرجتَ أغلق الباب دون صوت). وضعتُ له كأس الماء على الطاولة، ودخلتُ غرفتي.



اسمي كاملاً هزّ البيت، أول مرة منذ عرفتُ أخي يلفظ اسمي كاملاً، دائمًا يدلعني بـ"سوسو"، نفرتُ من السرير، الصرخة الفجيعة أعطبتْ من مخي مركز الوعي، مشيتُ في الممر المعتم أتحسسُ في الجدار مفتاح الإضاءة، حرَّكته في الاتجاهين ولم أحصل على نتيجة، في منتصف الممر سرتُ على ضوء شمعة بعيد يأتي من وسط الصالة، دخلتُ الصالة المشرقة بالشمعة، على غفلة مسكني أخي – بضغط شديد– من عضدي، وضع الشمعة بين عينيّ وحركني في اتجاهات الشقة كلها؛ لا ثريات تتدلى من السقوف لا كنبات لا طاولات لا سجاجيد على الأرض لا أجهزة إلكترونية ولا أدوات مطبخ ..أخذ عليّ تعهدًا بألاّ أكون إلا سعودية (مفهوم سعودية.. أنتِ سعودية، لستِ مصرية أنت سعودية!!).



أمشي في الشارع، بصري على ما يحطُّ عليه خطوي، تنادي صاحبة فرش الخضراوات: (يا أبلا يا أبلا) التفتُ لها وحرَّكتُ إصبع السبابة شرقًا وغربً، وقلتُ بصوت وطيء: (أنا سعودية)... ينادي صاحب عربة الذرة المشوية (درة يا جميل أبل متنام العصر) رفعتُ السبابة راحتْ جنوبًا وشمالاً وبصوت منخفض (أنا سعودية) وقع نظري على صاحب البرتقال يقف في طابور الفرن يشير لي بإصبعه بالمكان قدامه أرفع السبابة على استحياء نصف ارتفاع وأحركها علامة (لا) وتخرج الكلمة مهموسة من فمي (أنا سعودية).

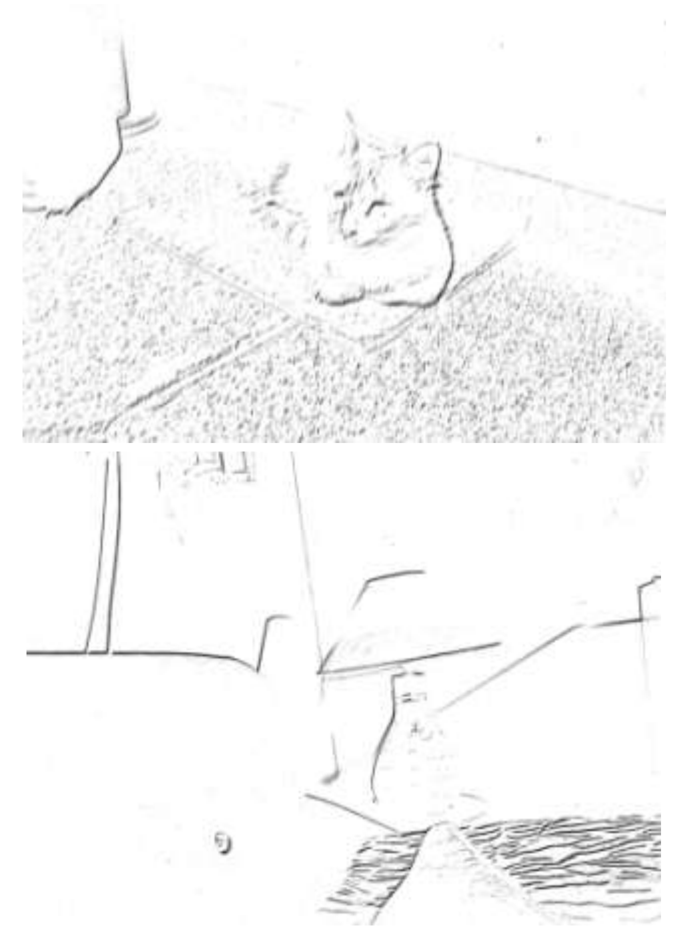


إلى والدي،،،،،

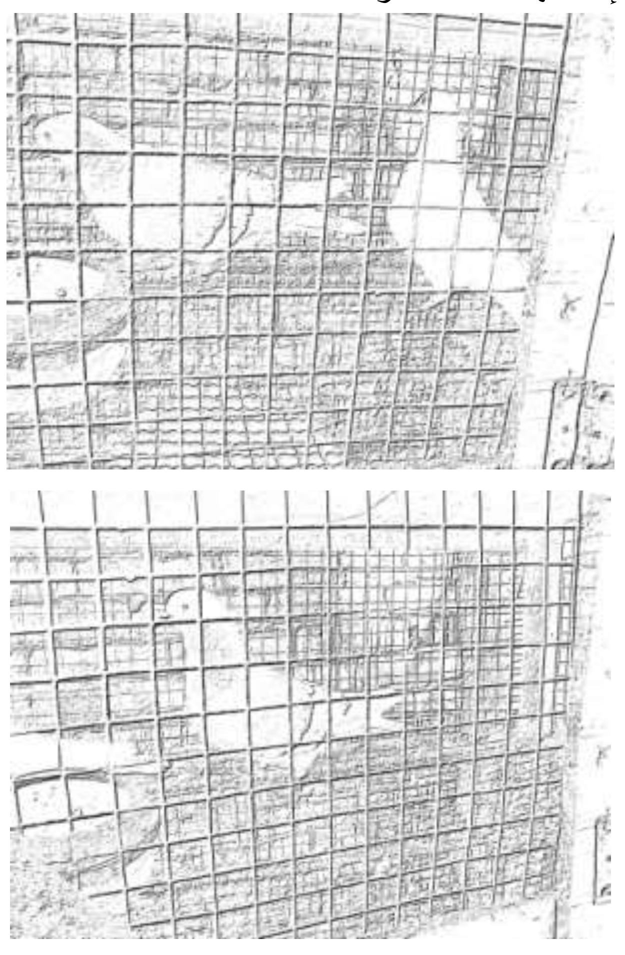
كنتُ أهرول، في حين يقف غير مبالٍ ببرودةَ الهواء المصاحب زخمات مطر تسوط رقبته وانحناءة ظهره، كنتُ حافية يستطيل الدم على ساقيّ يجتمع دائرة تنفجر وتمازج الماءَ الغرِقَة فيه الأرض، مِلتُ وأنا أخفي وجهي. تحت ياقة لباسي من تسلط المطر، دخلت حواريَ وأزقة كثيرة، ألتفِتُ لا أجدُه يتبعني، أمرُّ به يلعب بالكرة في باحة واسعة يُسدّدها إلى مرمىً بلا حارس.

الدرج طويل، الحجرة ليست في السطح ولا ملحقة بربع من عشرات الغرف لكني داخلها، كلّ شيء فيها يدور؛ الساعة على المنضدة، المروحة في السقف، أوراق شجر خلف النافذة، هناك غيمة استطالت في السماء تخلتّ عن انبعاجها الرَغْد، تصعّدُ القمر وتتبّع بصري ارتفاعَه حتى حدود النافذة وتكسّر شعاعِه في عيني القطة النائمة تحت الأباجورة تطلب الدفء، هششتها حنُوًّا على ملمسها الناعم من الحرارة المتكاثفة، كأنها لا تعرفني؛ هبّتْ

مذعورة، نسيتْ مرور أصابعي ليل نهار تحت ذقنها وفوق عنقها، شردتْ في جهة وتحطّمت الأباجورة فى جهة، مازالت ارتجاجات المنضدة؛ انكفت الساعة على وجهها وارتميتُ على السرير أنفخ العلكة تستدير كبيرًا أنظرُ إليها، عيناي تلتصقان أرى أرنبة أنفي، أحسّ صداعًا ودائرة تنفجر تغطي لزوجتها وجهي.



خرجتُ من الحمام يتقاطر الماء من شعري ثم يتصاعد جريانه على جسمي ويبلل ملابسي، فتحت النافذة رشقتُ بالمتبقي منه الحمامة وفرخيها، انتفض ريش الصغيرين وتراجعت الأم عاجزة في حضرة صغيريها عن الخفوق، أخذتُ أحد الصغيرين، هناك في زاوية إضاءتها خافتة استقر.

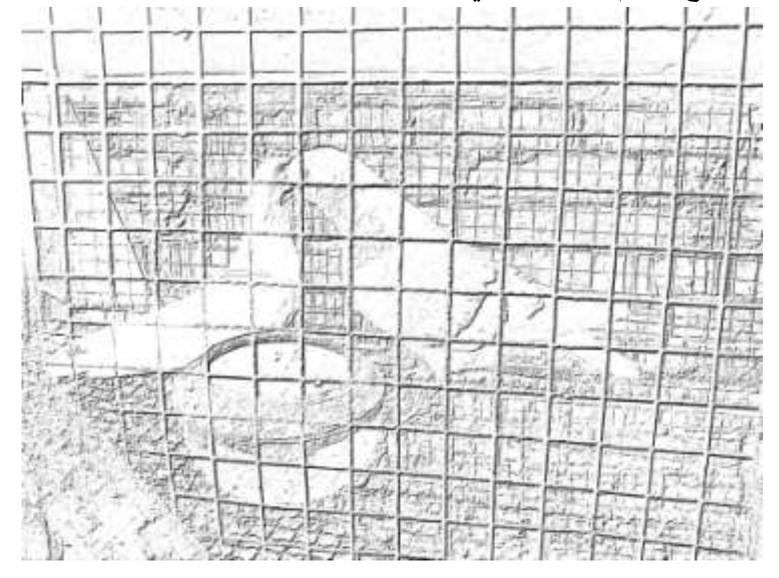


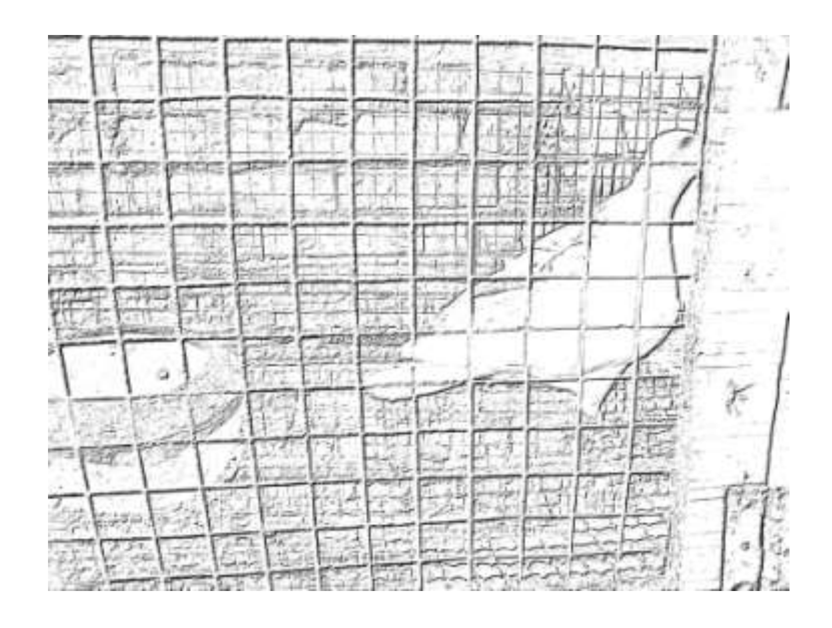
دوي وصوصة راجية مقهورة أتتبّعُها لا تصدر من اللذين أرى طيفهما خلف الزجاج ولا من المنكمش جواري. أكثر من مرة يسحب منقاره ويطيّر قطرات الماء، غاصتْ حبة أرز في السجادة بهزّة من رأسه، يبيع الحياة من أجل الفقد. وضعتُ الفرخ فوق أخيه ليلاً، فسقط يتوسط الأم والأخ، تراجعت الأم محافظة على وضعيّة جسمها المنكمش. الشمس تشرق والأم وفرخ واحد في زاوية، حُنُوها شديدٌ عليه، تنفر من رائحة الآخر.

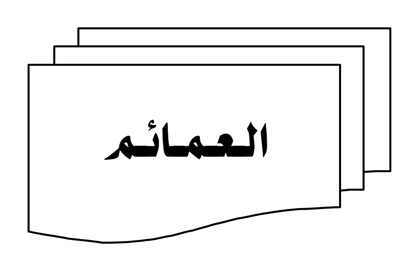
ناديتُ مَن كان يسمع لي....

يشمّ رائحة غيري فيّ...

يتراجع... ثم يستدير كأني لستُ منه.







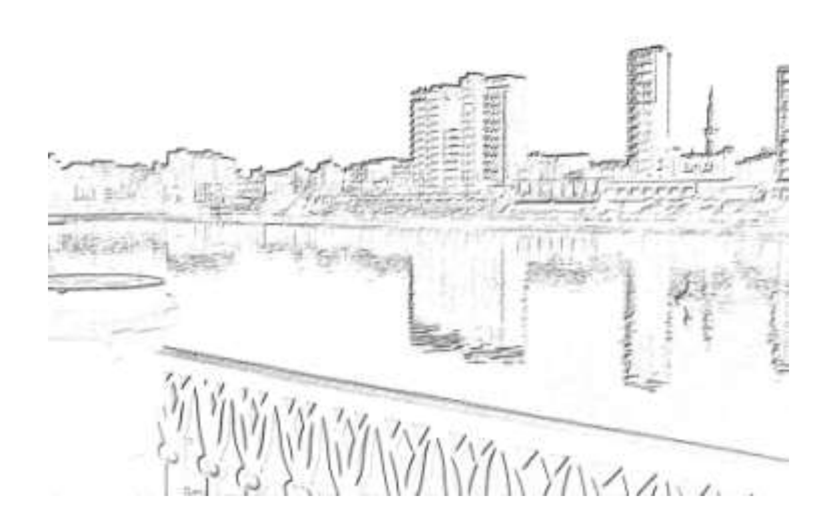
أثناء وقوفي حتى تعبرَ عرباتُ الباعةِ وأقطع الطريقَ المُعبَّد المُغطَّى بالتراب إلى الجانب الثاني من السوق؛ تأمَّلتُ كثيرًا بقعةَ الدمِ المخلوطةِ بالماء. وكان هذا أكثرَ شيءٍ يُثيرُ اشمئزازي. وقفتْ امرأةٌ تتحدَّثُ مع أطفالِها الثلاثة على جانبي الأيمن، ووَقَفَ على جانبي الأيسر رجلٌ يَحملُ أغراضًا في يده وعلى رأسِهِ. (لا بُدَّ أنَّكِ هالكةٌ! هالكة!) تَذكَّرتُ التوصياتِ.

– إلاَّ التجمُّعات في أي تَجَمُّعٍ سَتَطِيرُ رُوحُكِ.

خَشيتُ أنْ يُظَنَّ أنَّي من رُوَّاد هذا السوق الشعبي الذي لا أنتمي إليهم وأصيرُ بقعةَ دمٍ مخلوطةً بالماء؛ فركضتُ مُسرِعةً خارجةً من السوق المحسوب على الذين لا ينتمون لي، كان الوقتُ قُبيل المغرب، في كلِّ مَشيةٍ كنتُ أتجنَّبُ أيَّ تَجمُّعاتٍ ولا أتوقَّفُ بجانبِ أكثر من شخصٍ واحد.

صعدتُ ربوةً وكنتُ سعيدةً بابتعادي عن الأحياء السكنيَّة وطُرُقِ السيارات، لاحظتُ فوقها فتحاتٍ خارجةً من الأرض كنوافذ القبو نظرتُ منها فكانتْ أرضًا مَسكونةً مليئةً برجالٍ يلبسون أفخمَ

الملابسِ ويضعون على رؤوسهم العمائمَ المُذهَّبةَ، وكُلُّ الذي حولهم باذخٌ ومذهَّبٌ، رأيتُهم يَقودون سياراتٍ من أغلى وأفخر العلامات داخل هذا القبو. سماتُ القُوَّةِ والشِّدَّةِ باديةٌ عليهم. لَمَّا عرفتُ أنَّهم ينتمون للفرقةِ التي أنا منها دخلتُ من تلك الفتحات إلى ما يُشبهُ السقفَ غيرَ المُكتَمِلِ؛ سقفٌ لا يُغطِّي القبوَ بأكمله بل يُحيطُه بمقدار المتر عرضًا بعد السقفِ الأصليّ سطح الأرض، وبمقدار المتر طولاً، انتمائي لهم لم يأخذْهُ قلبي شفاعةً لهم فظَلَّ منقبضًا منهم وكنتُ وَجِلَةً غيرَ مُطمئنةٍ لهم لن يَدعوني في سبيلي لو علموا بأمري ولن أستطيعَ مُجاراتَهم لو طلبوا مني تنفيذَ أمرٍ ما، تَخيَّلتُ نفسي وقد صرتُ بقعةَ دمٍ مخلوطةً بالماءِ لو سقطتُ في أيديهم. خرجتُ من الفتحة ثانيةً وبدأتُ أركضُ سريعًا مُبتعِدةً عن القبو.



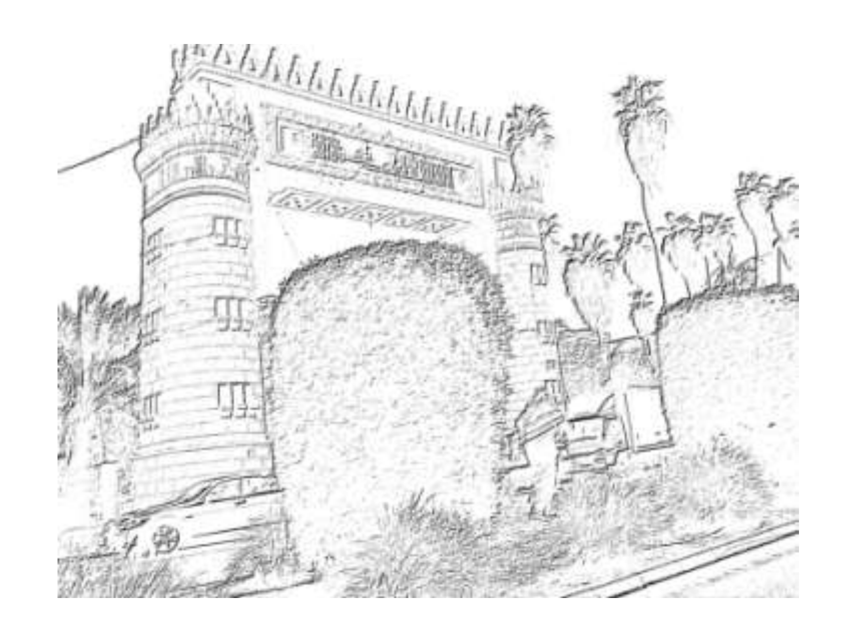
اتَّجهتُ إلى الجنوب حيث نهاية المدينة لأخرج منها؛ ومَخرجُ المدينةِ أو نهايتِها عبارة عن جِسر للسيارة يتَّجه من الغرب إلى الشرق، والعبورُ من تحته باتجاه الجنوب هو الخروجُ من المدينة، تحته تَقفُ شرطةُ الحدودِ. وقبل أنْ أصلَ إلى الجسر بقليل مررتُ بمجموعةٍ من الرجالِ يُشكِّلون في جلستِهم شكلَ المربع، يلبسون الملابسَ السوداءَ والعمائمَ السوداء؛ خِفتُ أن يكتشفوا أني لستُ منهم ولا أنتمي إلى فرقتهم فيُصيِّروني بقعةَ دمٍ مخلوطةً بالماء فابتعدتُ على حذر منهم مُكملِةً المَسير.

بعد عِدَّةِ خطواتٍ من تجاوزِ هذه المجموعة ظهرتْ لي مجموعةٌ أخرى تَجلسُ الجلوسَ نفسَه وتُشكِّلُ الشكلَ نفسَه إلاَّ أنَّها تَلبسُ الملابسَ السوداءَ والعمائمَ البيضاءَ خوفي منهم لا يَفرُقُ عن خوفي من المجموعة الأولى فكأنَّ عُودي طَبْلٍ يتناوبان في صدري رعبًا منهم، معرفتي ومعرفتهم أنَّي من فرقتهم لا تُنجيني منهم لاختلافي في الكثير مع ما يعتقدونه؛ خِفتُ أنْ يُحيلوني إلى بقعةِ دمٍ مخلوطةٍ بالماء. أكملتُ السيرَ وعبرتُ على غَشاوةٍ من أفرادِ الشرطةِ، وفي طُرُقٍ خاليةٍ؛ طُرُق ما بين مدينتين ركضتُ.

رأيتُ بوابةً كبيرة حَديديَّة دخلتُ منها في مكان كأنَّه مستودعٌ غيرُ مَسقوف. المكانُ شديدُ الظلمةِ مليءٌ بالكراتين والأكياس المُكدَّسة فوق بعضها، وكانتْ أكبرُ مجموعةٍ من الكراتين مُلاصِقةٌ للجدار الجنوبي. وأنا أتسلَّق الكراتينَ سَمِعتُ أصواتَ رجالٍ يَدخلون من

البوابة فأخفيتُ نفسي خلف الكراتين. وحين خرجوا تَسلقتُ الكراتين وقفزتُ من على السور تأكَّدتُ أنَّي في أطرافِ المدينة؛ فواصلتُ الركضَ في أرضٍ غيرِ مأهولة.

دخلتُ أرضًا رمليةً مُسوَّرةً رمالُها حمراءُ طينيَّة مُبللَّة ومُجزَّأة من الداخل بالطوبِ على شَكلِ غُرفٍ صغيرةٍ، الطوبُ المَرصوصُ كان من ثلاثةِ أدوارٍ إلاَّ غُرفة واحدة كانتْ أدوارُ الطوبِ فيها مرتفعةً كارتفاعِ الغرفِ المنزليَّةِ غير المسقوفة؛ دخلتُها بها مِغسلةٌ وفوق المِغسلةِ نجفةٌ بيضاءُ، فتحتُ الصنبورَ وتوضَّأتُ وجاءني إحساسٌ أنَّ هذه الأرض مَقبرةٌ مباشرةً كمَنْ يُفسِّرُ رؤيا مَنامٍ قلتُ (المَقبرةُ أرضُ أمانٍ، والنجفةُ نورٌ يَظهرُ بَعدَ طولِ مُعاناة، وأصحابُ الملابسِ السوداءِ والعمائمِ السوداء؛ عملٌ أسودُ واعتقادٌ أسودُ، وأصحابُ الملابسِ السوداءِ والعمائمِ البيضاء عملٌ أسودُ، واعتقادٌ أبيضُ. واحتَرْتُ في تَفسيرٍ لأصحاب العمائمِ المُذهَّبةِ الساكنين تحت الأرض وهم أشدُّ مَنْ وَجَفَ قلبي منهم ورَعَبَ). خرجتُ من الأرضِ المَقبرةِ راكضةً في طريقٍ مُعبَّدٍ طويلٍ خالٍ من كلِّ شيءٍ مُكْمِلَةً خروجي من البلد باتجاه الوطن.



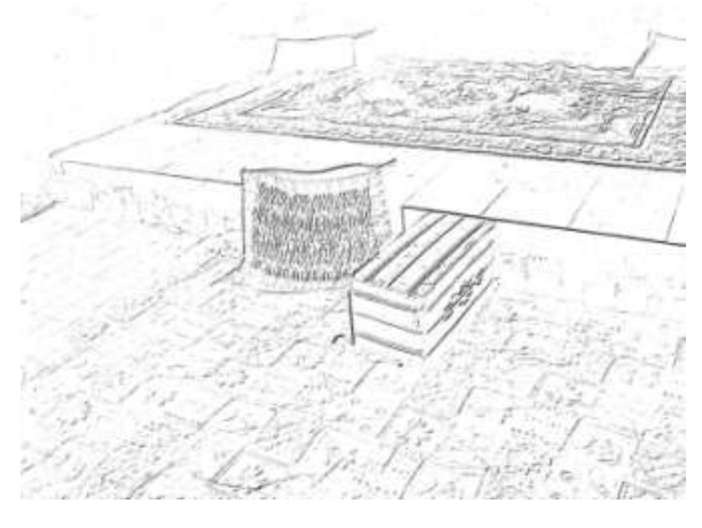




(١ – أ)

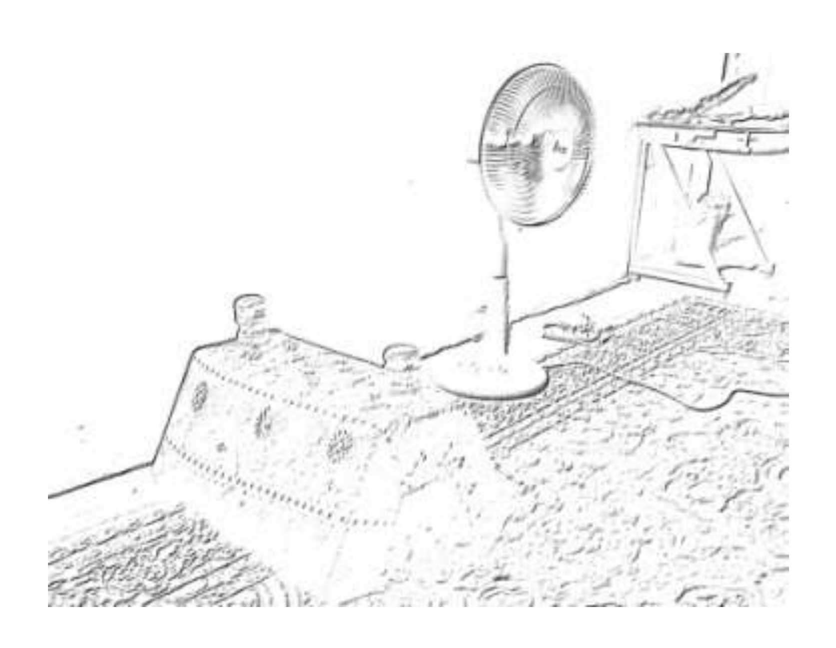
– لا صيفَ، لا شتاءَ، لا خريفَ، نحن في الربيع،

وعَلا صوتُ فرقعةِ كيسِ النايلون وطَرْطَشَ الماءُ وبَلَّلَ شعرَها وصدرَها وتَشرَّبتْ ملابسُها الماءَ ولامستِ الرطوبةُ جِلدَها؛ فانتعشتْ بالبرودةِ وعلَّقتْ على كلامِهِ: ربيعنا جاء في عِزِّ القيظ. ضَحِكَ وقال: سنأخذ مَقطعًا مُسجلاً في الجوال. ضغط التسجيل، وطُرِقَ البابُ. وَضَعَ الجوالَ على المَرْكَى، وذَهَبَ باتجاه الباب.



(٢ – أ)

طَلَبَ منه رجالُ الشرطةِ القدومَ معهم إلى المركز، حَاوَلَ الاستفسارَ عن السبب، قالوا له: في المركز.

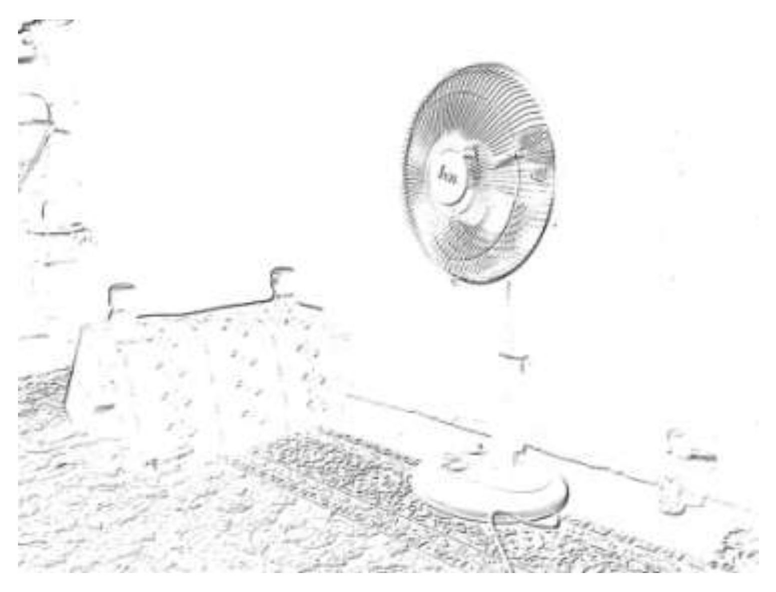


(١ – ب)

سَمِعَتْ الحديثَ ورأتْ الموقفَ من فراغ زاوية الباب المفتوح. وحين غادرتْ الشرطةُ صكَّتْ البابَ وتقدَّمتْ... وارتمتْ على الأرض جالِسَةً وتنهَّدتْ بسعادة وقالتْ: (البَرَكَة!! يا ليتها كانتْ البَدَرَى!!).

(٢ – ب)

قبل خروج سيارة الشرطة من الحارة أَخَذَ منهم الإذنَ لِجلبِ الجوال من البيت – للضرورة لو احتاج الأمر–.. دَخَلَ البيتَ، أَخَذَ الجوالَ من فوق المَرْكَى.



(٢ – ج)

في قسم الشرطة طَلَبَ المُحقِّقُ منه الاعترافَ بصِلته وعلاقته بأكياس المسحوق الأبيض الموجودة في سيارته الأجرة؛ بأغلظ الإيمان أقسم أنَّه لا صِلة له بها، وقال: إنَّها مَكيدة. ردَّ الضابطُ: اتركْ عنك الأفلامَ المصريَّة، عرضنا عليك الرجلَ الذي رأى الكيسَ

في سيارتك قبل قليل ولم تَعرفْه ولم يعرفْكَ وقد مرَّ بجانب السيارة بالصدفة. قال: انْظرْ إلى حالي وأنتَ تعرف أن لا علاقة لي بالأكياس، أخذتَنِي من بيتي ورأيتَهُ منزلاً شعبيّاً في حيٍّ شعبيٍّ، بابُه دون جرس، وهو غرفتان تُطلان على حوش، ومطبخٌ رُفوفُه من تَجميعِ الصناديق، وحمَّامٌ لَمْبَتُه سهَّاريَّة خوفًا من الفاتورة، حتى الجوَّال للاستقبال فقط؛ مكالمات الزبائن ليصفوا عناوينَهم... أين تذهب فلوسُ التجارة إنْ كنتُ أُتاجرُ بالمخدرات؟!!. طَلَبَ المُحقِّقُ منه بيانًا فيه معلوماتٌ عن الذين ركبوا معه اليوم؟ كم عددهم؟ مَنْ هم إذا كان يعرف أحدًا منهم؟! مِن أين أخذهم؟ وإلى أين أوصلهم؟!.





(٢ – د)

في ظلام غرفة الحجز حَسْبَلَ على المُتسبِّب له في هذا، أَخرجَ الجوَّالَ وضغط كيفما اتَّفق للإنارة؛ الشاشةُ مازالتْ على وَضْعِ الفيديو وقد انتهتْ المُدَّة الزمنيَّة لتسجيلِ مَقطعٍ. أمران أمامه على الشاشة: (تشغيل) – (إرسال). تَبَسَّمَ حسرةً على نفسه وضَغَطَ التشغيلَ: ظهرتْ سجادةُ الحوشِ الرخيصةُ بنقوشِها الباهتةِ، جاء صوتُ طَرْقِ البابِ وتَقْتَربُ الشاشةُ من المَرْكَى ثم تَصِيرُ سوادًا، سَمِعَ صوتَ فتْحِ البابِ ثم سُكُونًا يَعمُّ الشاشةَ السوداءَ فجاء صوتُ البابِ ثانيةً وهو يُقفل فصَوتُ خطواتٍ تَعلو قادمةً ثم سَمِعَ صوتَ تنهيدةٍ يُستَنبَطُ منها معنى الارتياح عَقِبتها جملة (البَرَكَة!! يا ليتها

كانتْ البَدَرَى!!) فسُكُون على الشاشة السوداء حتى انتهاء المدة الزمنية للتسجيل.. فَزَّ يُنادي طَالِبًا مُقَابَلَةَ ضابطِ التحقيقِ.

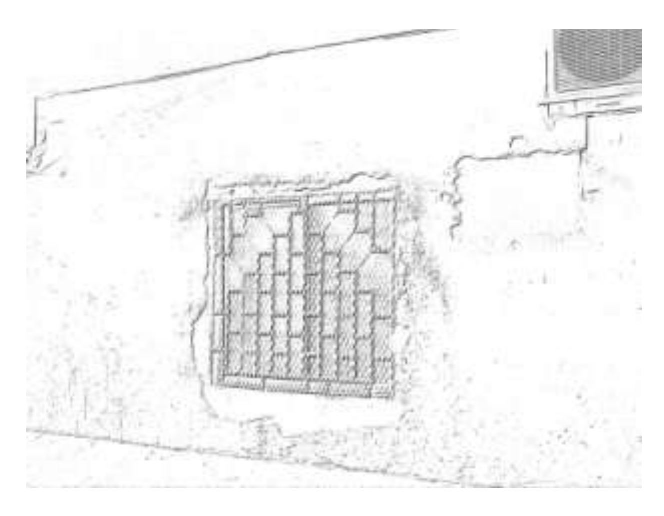
(٢ – هـ)

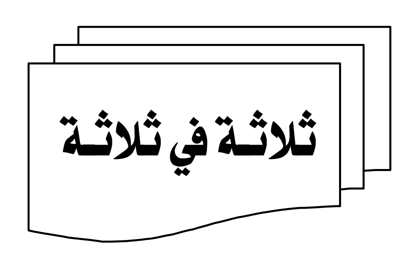
قال للضابط في مكتب التحقيق: هناك شخص لم أذكره ضمن الركَّاب؛ لا لأنِّي نَسيتُه، بل لأني لم آخذ منه حقَّ التوصيل أو كما يُقال ليس زبونًا (خُرُوجي صباحًا تَصادَفَ مع خروج جارِي الساكن قُبالة بيتي، ألقى السلامَ وبدأ يمشي، قلتُ له: ارْكبْ! أوصلكَ!! ردَّ: قريب، قريب.. المشوار قريب آخِر الشارع، شكرًا. قلتُ له: أنا سأسيرُ في هذا الاتجاه.. نهاية الشارع.. أوصلك!!) هو، هو مَن وَضَعَ الأكياسَ بالاتفاق مع زوجتي؛ يُريدان التخلصَ مني.. هما على علاقة.



(١ - ج)

تَحتضنُ أطفالَها النِّيام وتَعِدُهم بصوتٍ عالٍ: (سأشتري المُكيِّفَ، سأطلُبُ راتبًا من الشئون الاجتماعية، سأطلب مِن خالِكم أنْ يأخذكم معه إلى الطائف، إلى أبها، إلى أيِّ مكان!! لن تضطروا إلى سَكْبِ الماءِ فوق رؤوسكم لتُلطِّفوا سخونةَ أجسادِكم، سأطلبُ من الجمعيات الخيرية كُلَّ وسائلِ التبريد). نظراتُ أطفالِها المُتنبِّهة مَزقَّتْ قائمةَ الأمنيات المُشرَعة أمام عينيها وعادتْ بها إلى التساؤل عن سببِ أخْذِ الشرطةِ زوجَها: مُصيبة لو كان الأمرُ إجراءً بسيطًا في مركز المرور وعَادَ إلى البيت بعد لحظات!!. تَطلَّعتْ إلى الفتحة المَسدودة بالابلاكاش في جدار الغرفة: يا ليته يَغيبُ ريثما يُطِلّ عليكم وجهُ التكييفِ منها يَنفثُ أنفاسُه الباردةُ في رئاتكم؛ أخي والجمعيات الخيرية لن يسألوا غدًا عنا إنْ عَادَ.





(قصة للترفيه ..

لترفيه الخائبين في الدراسة والعاطلين عن العمل مثلي)

٢ «ابدأ أنت»

(كان يا مكان هنالك ثلاثة قرروا بناء.........)

١ «ادخل في الموضوع مباشرة، لستَ بصدد حكاية قصة»

(ثلاثة قرروا بناء منازلهم من مواد غذائية؛ أحدهم اختار الجبن الرومي مادة للبناء. متماسك ويسهل تفصيله إلى غرف....)

١ «غرف!! الغرف غير مطلوبة»

(لو أرادوا، وهو لا يسيح في حرارة الشمس مثل الزبدة، ولا يتجمد في البرودة، سيرشّ حواليه مبيدًا حشريًّا حتى لا يشبو بالنمل أو بأي حشرة زاحفة كانت أم طائرة، وخاصة الفئران، والذي يبدو أنه استوحى فكرة بيت الجبن الرومي منها.

في ليلة من الليالي القمرية....)

١ «تقصد ليالي التمام»

٣ «تمام، بيض لا يهم، وسأغير (في ليلة من ليالي المحاق "ولا تقل ليلة السرار" حيث صاحب بيت الجبن الرومي يغط في سابع نوم، يعلو شخيره... لا لم يكن ذا شخير لأن الكلب الذي هجم يأكل أطراف البيت سيهاب الإقدام لو أنه سمع شخيرًا أو صفيرًا. مادة البناء كانت من مشتقات حيوانية ولم يكن هذا في الحسبان.....)

٢ «تافهة... حتى الكلب لو كان قطًّا لكان أنسب... هات الثاني!! وانتبه!!! لا تذكر أنه بنى بيتًا من البسكويت والكاكاو والسكر لأننا رأينا ذلك صغارًا في الرسوم المتحركة حين بنت الساحرة الشمطاء بيتها من هذا؛ تغري به الأطفال لتصطادهم وتضعهم في الفرن.......»

١ «دعه يبدأ!!»

(الثاني بنى بيته من الخبز الفرنسي، كان لا يشعل النار فيه، منع الطبخ، يحضر الأكل من المطاعم كي لا تحيله النار بيتًا محمصًا.....)

١ «وليكن بيتًا محمصًا»

٣ «يفقد رونقه، والجمال مطلوب (في ليلة من الليالي... لا، في أحد النهارات لتكن التاسعة صباحًا.. مثلاً.. أو في أحد النهارات وهو في العمل، أظن المهنة غير مطلوبة، غامت السماء وأرعدت وأبرقت وبدأت قطرات المطر تسقط واحدة بعد الأخرى، ثم

تزايدت وصارت سيلاً مدرارًا أذاب الخبز. الثالث اتخذ مادة البناء من التفاح....)

٢ «من المؤكد أنه من الأغنياء!!»

٣ «لا يفسر الكلام على هوىً، هي مواد غذائية لا غير، تقسيم ثلاثي إلى طبقات اجتماعية غير وارد؛ لذا سأستبدل به البرتقال، السابقان بنيا بيوتهما من قطعة واحدة، جبنة رومي واحدة بحجم البيت، وخبزة فرنسية واحدة بحجم البيت أيضًا (هذا استغرق وقتًا؛ يضع برتقالة على برتقالة حتى وصل إلى السقف الذي أصبح مكشوفًا، أمكنه وضْع البرتقالِ طوليًّا، الوضع العرضي تعسر عليه، اهتدى إلى وضْع برتقال السقف بالشكل الهرميّ؛ طبقة أقلّ تتكئ على طبقة أكثر حتى وضع برتقالة واحدة رأسًا للسقف، جعل الباب مفتوحًا؛ أي حركة سينهدم البرتقال على رأسه، بناه في منطقة غير مأهولة وبعيدة عن الطريق والمصانع وكل ما يثير اهتزازاتٍ، رشّ البيت بمادة حافظة للأغذية، لا يحتاج رشّ مبيدٍ حشري حواليه؛ فليس من مشتقات حيوانية، في نهاية الشهر السابع وبداية الثامن؛ حيث الشمس وهّاجة نشّافة لعروق البشر نشّفتْ ماء البرتقال بخّرته في خبر كان، غدا البيت قشوراً ناشفة متيبسة، يوم وراء يوم حبيبي ما جاني نوم... عفوًا، يومًا وراء يوم سهُل تفتيته، لكن لم يحدث هذا إلا حين هبّتْ ريح تسوق أمامها رمال المنطقة المعزولة المبني فيها البيت. الرابع..........).

١ «حسبك، انتهيتَ، هل تنوي فتح محل تموينات غذائية!!!!»
٢ «سأبدأ أنا (الأول حرامي، الثاني شرطي، الثالث.........)
١ «يا حرامي، رأينا هذا في الفيلم المصري "مواطن ومخبر وحرامي"»
(الأول ملك الموت، الثاني الموت نفسه، الثالث كائن حي........)
٣ «أنت لم تفهم أصول اللعبة بعد "عمل واحد بطرق ووسائل مختلفة" في حالتك الملك سيأمر، والموت ينفذ، والكائن سيموت، أعمال مختلفة "أمر وتنفيذ وحدوث"»

(اتفق ثلاثة على قطع مسافة ما على سطح البحر، المبّرز ليس من يصل أولاً كما الحال في سباق الخيل؛ المبّرز من يصل بأمان إلى الشط دون ضرر يصيبه؛ اختار الأول جذع شجرة يطفو فوقه ويقطع به المسافة. الثاني اتخذ مزلاجين لأنهما الأسرع والأسرع بكثير من ذلك الغبي الذي سيطفو به جذع شجرة. الثالث لا تعنيه السرعة فهي غير مشروطة هنا، لأمثاله الذين لا يتقنون الغوص تعنيهم السلامة والوصول بأمان، حشر نفسه في إطار عجل منفوخ. بينما الثاني أبو مزلاج يتمخطر ويتمايل، يذهب ويعود هازئا بالصرصار المتشبث بجذع الشجرة بأطرافه الأربعة، والجعران المتبالصة عيناه داخل الإطار المنفوخ؛ فجأة ارتفعتْ موجة كأنها تسلّمتْ لتقوم بعملها رشوة من شخص ما، تطاولت جداً وأقبلت فاتحة فاها الخالي من الأسنان تبغي ابتلاعهم -أعرف أنكما تقولان

في نفوسكما الأفضل أنها دون أسنان لئلا تمزقهم مضغًا، لكن لا، الأفضل لو أنها بأسنان لكي ينحشروا بين الأسنان خاصة أبا مزلاج الذي سيواجهها منفرج الرجلين– على كلٍّ حين أقبلت الموجة فاردة العضلات ظنّ أبو مزلاجين أنه سالم؛ سيدور دورة داخل دوامة الموجة كما يفعل محترفو رياضة ركوب الأمواج، لكن الموجة احتاطت لذلك ومرقتْ بين رجليه؛ ذهبتْ واحدة شرقًا، والأخرى غربًا.

ولم تُفلتِ الموجة أبا الجذع لفتْه بلسانها كما يلفّ لسان سحلية ذبابًا يتأمل فوق علبة تونة فارغة........)

٣ «ليتك تترك التشبيهات العبيطة وتنهي دورك»

١ «لو كنت تشعر بقلقي لدنو دوري ما استعجلته، ولاستعذبتَ تشبيهاته السخيفة»

(أبو إطار منفوخ، لفّ ذراعيه بكل شحناته حول الإطار، فهل حياة لمن لا يجيد السباحة؟! تخيل نفسه لو طار الإطار وسط متاهة الموجة؛ فإنه سيتلاشى فيها كورقة حامت ثم حامت وسقطت داخل بالوعة مفتوحة........)

٣ «بالوعة، الألفاظ سعد»

(وفعلاً، هذا ما وقع؛ طار الإطار، ولم تفده طاقاته المبذولة، انقلب رأسًا على عقب بعد توالي لجة الموجة المرة تلو الأخرى).

(ثلاثة لم يستخرجوا جوازات سفر؛ عليهم أن يعبروا الخمسةَ الأمتار المنطقة الحدودية لبلادهم - ولئلا تركبا الخيال فيشرِّق بكما ويغرِّب، وحتى تطمئنا للهدف- الهدف حضور أول حفل غنائي لمطربتهم المفضلة بعد إجراء ثاني عملية تجميل وهو هدف شرعي لا يزفهم إلى غوانتانامو، واسم المطربة لكما، كلٌّ لذوقه. لأن الأرض الفاصلة رمال ناعمة لا صخور فيها ولا كثبان اختار الأول حفر نفق تحت الأرض، يتفادى عيون حرس الحدود وآذانهم بعدم استخدام آلات حفر ضخمة صوتها رجّاج واعتمد طريقة الحفر بملعقة، الثاني اعتمد القذف بالنبّالة؛ أحضر مطاطًا كبيرًا ربط طرفيه بشجرتين متقابلتين وضع في وسط المطاط مرتبة كرسي، الثالث اعتمد التدحرج داخل كرة؛ يصنع كرة كبيرة ويدخل فيها ويدحرجها بيديه. أبو كرة تدحرج وسقط في خندق حفره حرس الحدود لمراقبة تجار المخدرات المتسللين، التمّ عليه الجيش وساقوه إلى البوكس لترحيله إلى المركز. أبو ملعقة قاس الأمتار الخمسة دون زيادة، ودون أن يحتاط ولو مترًا واحدًا زائدَا عليها، أخرج رأسه وإذا به تحت قدمي جندي، سحبه من شعره ورحّله عبر البوكس إلى المركز. أبو نبّالة طلب من بعض سكان القرية بعد أن تربع على المرتبة سحبه إلى الخلف إلى أقصى امتداد المطاط، ثم رفعوا أيديهم عنه فانطلق يسبح في الفضاء وهوى في صندوق البوكس الذي تحرك به في اتجاه المركز، حيث حراس الحدود كانوا يرصدون عبوره في فضاء الخمسة الأمتار.).

١ «أخيرًا، انتهينا من الفكرة المملة»

٣ «لنطبق هذا علينا!!»

١ «"ما كنش حتة برج يا عم بوش" ما كنش حتة لعبة نقضي وقتنا كله فيها»

٢ «الليل طويل، لا بأس في تفريق مزيدٍ من الوقت»

٣ «يبتكر كلّ منا طريقة يموت بها»

١ «إلا الألم!!»

٣ «ومن قال إننا سنموت من بوابة الألم؟!»

٢ «يا ناصحًا، كل الطرق المؤدية إلى الموت فيها ألم!!»

٣ «نفكر؛ نصل!!»

١ «سأموت من الشرب؛ سأشرب لبنًا كامل الدسم حتى الموت»

٣ «سآكل حتى الموت؛ الشحم المطبوخ خير مساعد في هذه الورطة»

٢ «سأجمع بين الشرب والأكل؛ اللبن والشحم حتى الموت»

٣ «ليحضر أحدكما اللبن والشحم المطبوخ على وجه السرعة!!»

• • •

٣ «سقط الثاني، أمات؟!»

١ «إنه يتنفس، فقد الوعي لا أكثر»

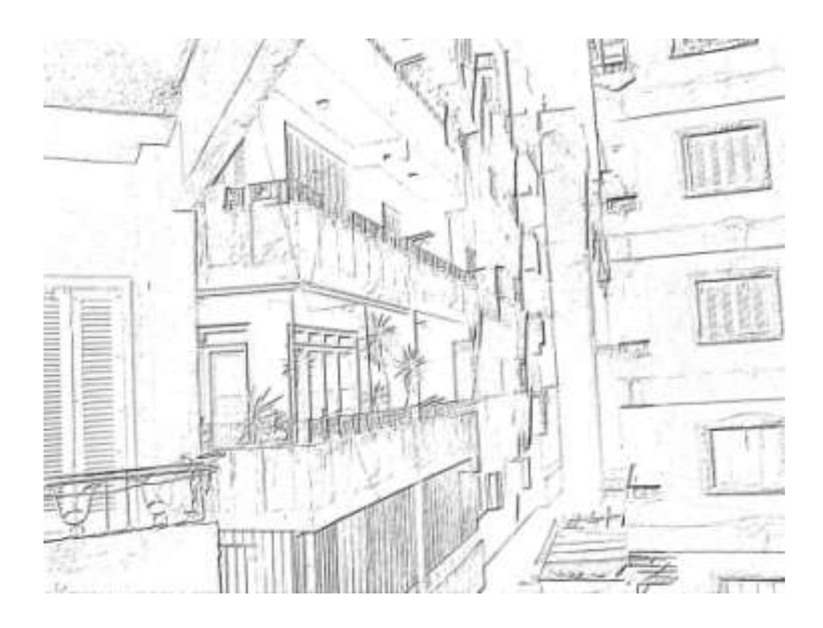
• • •

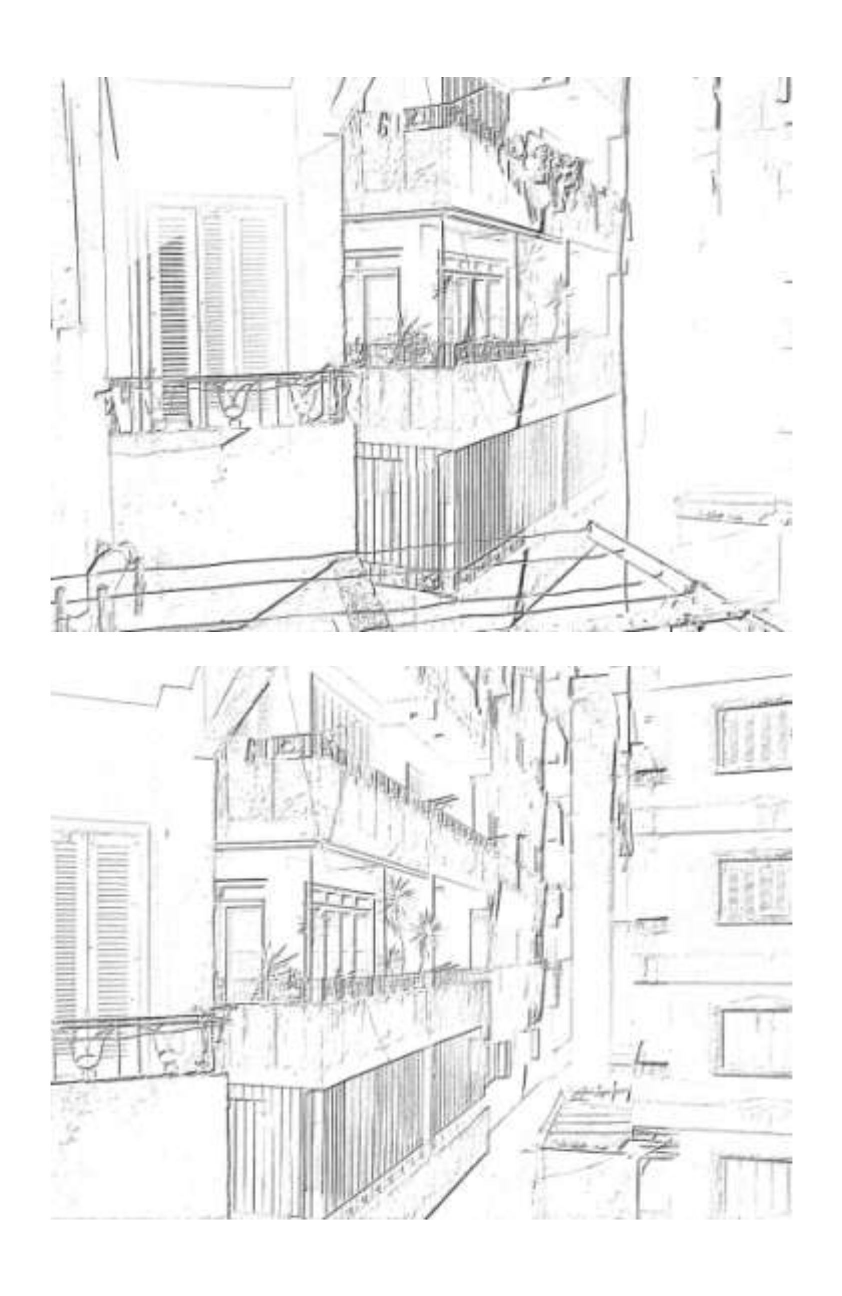
١ «الدور عليّ لأسقط أرضاً مثلهما»

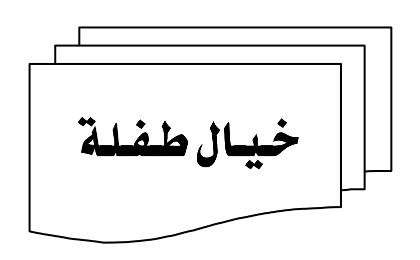
• • •

تساقط الثلاثة، ماتوا، دخلوا في الغيبوبة من التخمة، لا أدري؟! رآهم شخص ما صباح الأربعاء في طريقه إلى العمل وحملهم إلى مشفي، لا أدري أيضًا!! عهدي بهم ثلاثة أطياف وهّجهم قليل ضوء من التلفاز وسط عتمة الرصيف، مرقتُ بمحاذاتهم عبر الطريق المعبد في العاشرة مساء إحدى الثلاثاوات قادمة من المطار – في واحدة من إجازاتي– إلى البيت..... جاء صوتها زاعقًا، وجاء ردٌّ لصوت شاتم، تداخل الصوتان، أنظرُ إلى الأعلى أراها تدلي برأسها إلى أسفل، وأنظرُ إلى الأسفل أراها ترفع رأسها إلى الأعلى. رأسي بين الرأسين ولساني في مخزنه في حين الآخران يخرجان طويلاً يتحركان هبوطًا وصعودًا؛ مياه غسيل مرأة الطابق الثالث تبلل غسيل مرأة الطابق الأول، –الحمد لله– ليس لي غسيل يرفرف في شرفة الطابق الثاني؛ غسيلي في النشّاف. قلت للعلوية: السطح قريب منك، حرري الشرفة من رايات ملابسك خاصة أنك عروس في شهر العسل وارحمي المسكينة من بللها. وقلت للسفلى: السطح بُعده شاقّ عليك، والنشّاف سعره يكلفك الكثير؛ حلال لك الشرفة شوّهي منظر العمارة بألوان ومقاسات ملابس أطفالك الثلاثة. اختفتْ رؤوسنا الثلاثة من فتحات الشرفات الثلاث، أشعلنا المصابيح المعلقة في أسقف الشرفات، دخلنا الصالات وأغلقنا

وراءنا الأبواب؛ المساء قادم وجيوش البعوض –مستعدة– تقف في مدخل الحارة.

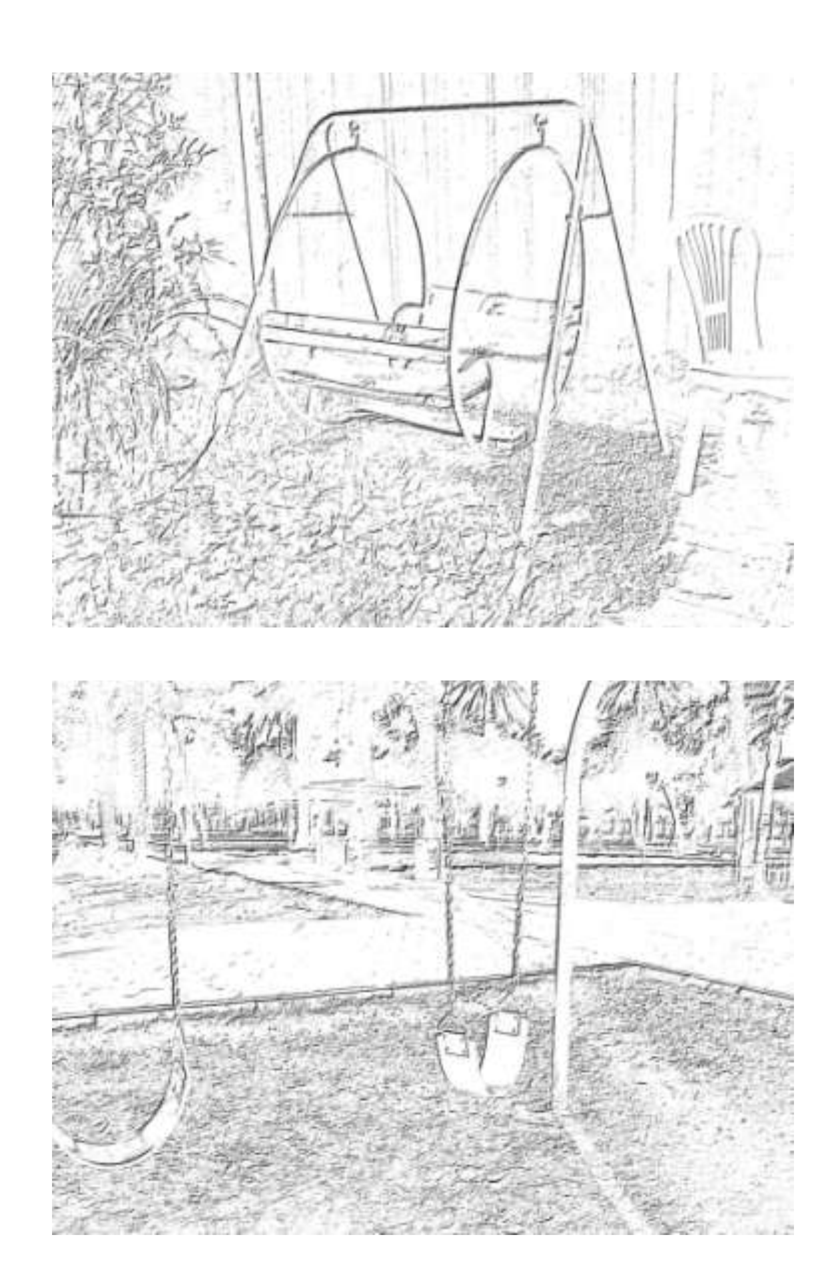






في أول يوم دراسي بعد عودتنا من إجازة نصف السنة الدراسية خبّرتْنا إدارة المدرسة أن فصلنا قد نُقل إلى الدور الأرضي.. سعدنا كثيرًا، فقد أصبحنا أول الواصلين إلى مقصف المدرسة، قريبين من فناء المدرسة، نوافذ فصلنا تطل على الحديقة، وصُرِف عنا تعب الدرج صعودًا وهبوطًا.

رنَّ جرس الحصة الرابعة، أخرجنا كتب اللغة العربية استعدادًا لدخول معلمتنا، فإذا بامرأة تتوكّأ على عكازين تدخل لتعلن أنها مدرِّسة اللغة العربية، وأن أستاذتنا القديمة ستكتفي بتدريس الصفين السادس والخامس. قالت: لستُ غريبة، درَستُ هنا في طفولتي فعائلتي تسكن في هذا الحي، ولمَّا كبرتُ وبسبب الزوج انتقلت إلى حي آخر، وهأنذا أعود إلى مدرستي الابتدائية بعد عودتي للإقامة مرة أخرى مع أسرتي.

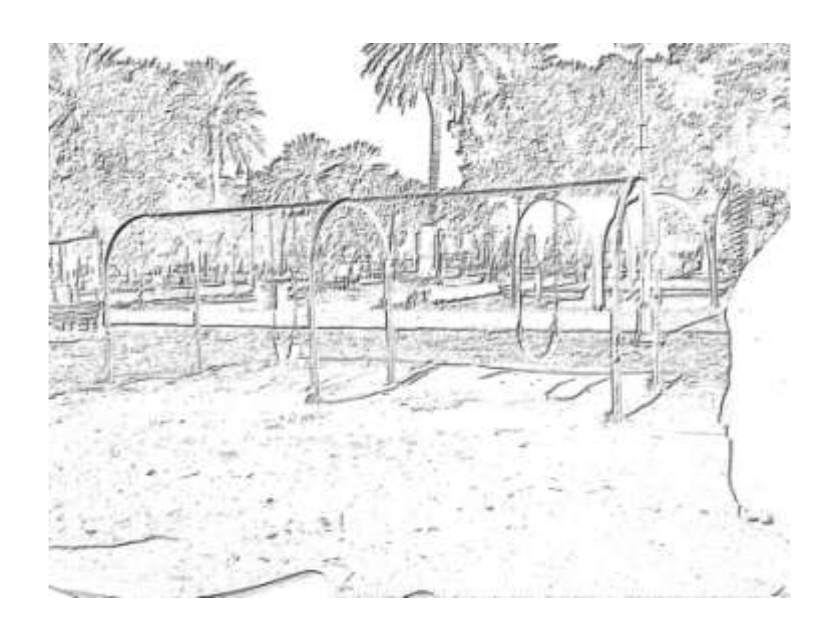


قررتْ أن تكون الحصة للتعارف والدردشة بما أنها المرة الأولي التي تلتقينا فيها، بدأتْ تسأل كل واحدة عن اسمها، وأين قضت إجازتها؟ وكيف؟.. جاء دوري، فقامت من مقعدها تتعكّز إلى حيث أجلس، فحصتني بنظرات غريبة، قلتُ اسمي وأننا قضينا العطلة في رحلة سياحية بالسيارة تجوالاً في مناطق المملكة، نظراتها المريبة مازالت مسلطة عليَّ مع إنصاتها لحديثي.



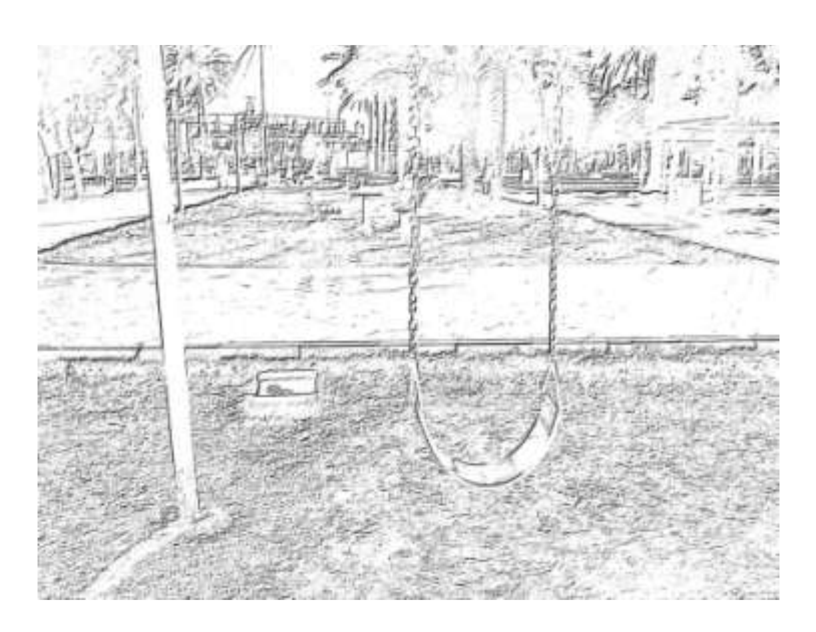
في إحدى حصص التعبير طلبت منا كتابة موضوع عن مساعدة الآخرين، وكان دفتري أول ما تناولتْه، ورمته بعنف وقالت بصوت حاد خفيض: (كاذبة). جميع صديقاتي كتبنَّ مثلي يجب أن نساعد الفقراء ونعطيهم الطعام والكساء ونزور المرضى في مشافيهم؛

فعنوان الموضوع وعناصره تحتم التقيُّد بها، هل كان عليَّ مخالفة العناصر وكتابة ما يناقضها؛ من صراخٍ في وجه الضعيف وحرمانٍ للفقير، وترك العاجزين يواجهون المخاطر؟!

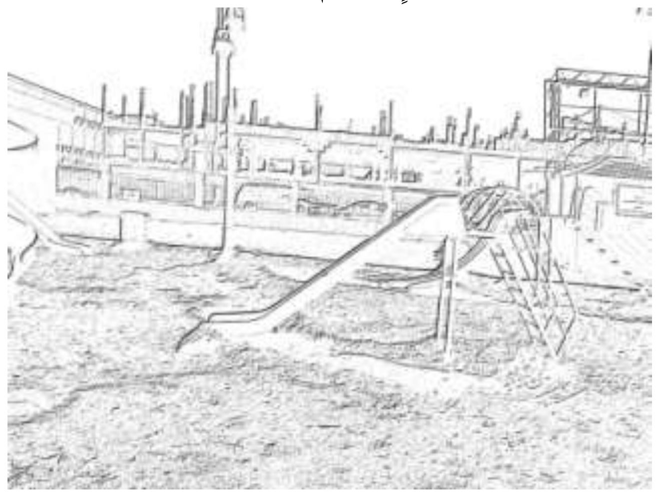


ذات يوم طلبتْ مني أن أتأخر غدًا في الخروج؛ هو موعد مناوبتها، طلبتني للمساعدة في تسيير خروج الطالبات. في الغد وعند خروج آخر طالبة من المدرسة، اسْتَأذنتها في المغادرة إلى بيتنا القريب، استسمحتني أولاً في مصاحبتها إلى غرفة المدرسات في حاجة ملحة، وهناك احتجزتني؛ بقفل باب الغرفة بالمفتاح، وانهالت علي ضربًا بإحدى عكازتيها؛ ترفع العكازة عاليًا وتهوي بها

على جسدي الصغير، الرعب فاق الألم؛ فلم أشعر بالوجع بقدر شعوري بالهلع. عصبيتها وهياجها أفقداها التوازن، والسيطرة على تمركز العكازة الأخرى مع نوعية البلاط الزلقة؛ فتهاوتْ ساقطة على الأرض، فأسرعتُ وسحبت العكازين من الأرض، وأخذتُ المفتاح واتجهتُ إلى الباب المقفول، أدرتُ المفتاح، ثم أخذته، وخرجتُ مغلقة عليها الغرفة بدورتين من المفتاح، ومن الفناء الخلفي للمدرسة رميتُ المفتاح والعكازين، ثم عدتُ إلى باب الخروج مغادرة إلى البيت.

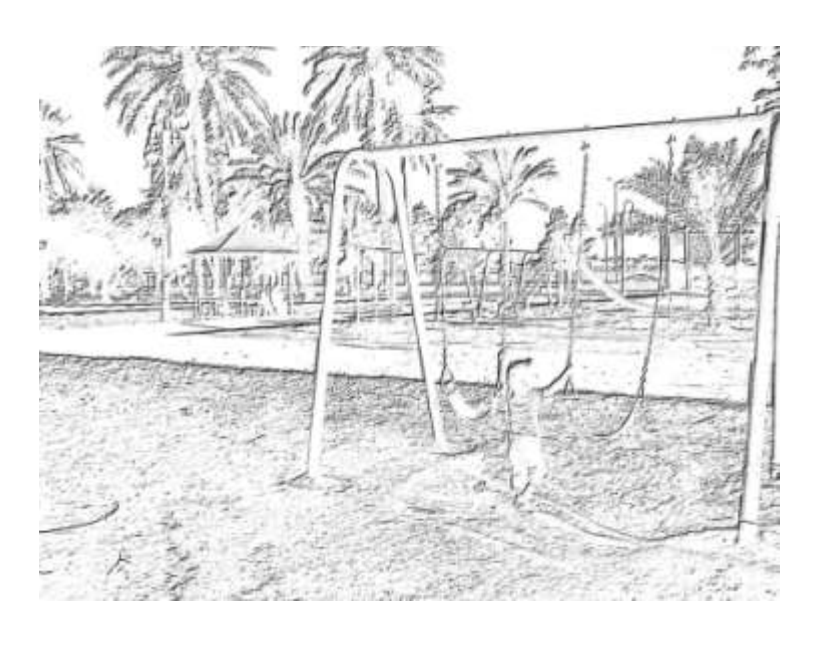


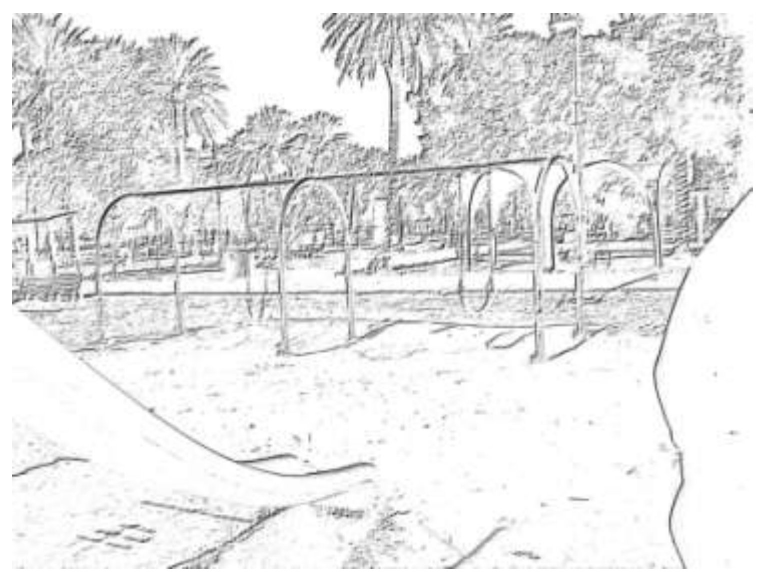
توجهتُ مباشرة إلى غرفتي، رفضتُ تناول الغداء، ودخلتُ تحت غطاء السرير أبكي بشهقات عالية... الطريق طويل والظلام المتكاثف يحيط بنا كأننا في بحر من سواد يتماس مع أفق داكن، برد شديد ابتدأ بتساقط المطر، مسافة أكثر من ألف كيلو متر ترافقها الجبال العالية القاتمة، كنتُ ككل الأطفال الذين يهربون من الواقع إلى الخيال، ولكل طفل خيالاته التي ترسم له ما اختزنه عقله الباطن من مناظر رعب. نافذة السيارة ترميني بوخزات الصقوعة، وبمنظر امرأة تطلُّ من تجاويف الجبال الحالكة، لها شعرٌ طويلٌ، تلبس جلبابًا أبيض، تسيل من فمها الدماءُ، تُغرق يديها وتَصبغ ملابسَها بالحمرة... صاحبني هذا المشهد البشع المؤطر بالنافذة ولاحقني بصحبة صوت الرعد طوال انكماشي في كرسي السيارة، وزاد رعبَه لمعانُ البرق إذ يُظهر امرأةَ الجبال الملطخة بالدماء وهي تمزق بأسنانها أجساد أطفالٍ تأكلهم.

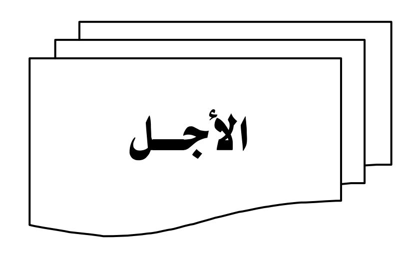


حادث سير على جانب الطريق سيارة مدمرة، في حالة صعبة جدًا، سافلها عاليها، نزل أبي بعد أن توقّف مصطحبًا معه أخي وكشّافًا للإنارة، استدارا في سائر الاتجاهات بحثًا عن أحياء، فلم يكشفا إلا عن أجساد متناثرة مفارقة الحياة.

العتمة وصور آكلين لحوم البشر والغول وكل مناظر أفلام الرعب تشكلت في دجى الظلمات أمامي، نزلتُ أستعجلُهما وأترّجاهما أن يعودا خوفًا من وحوش الفلاة، تخبطت في صبغة السواد الماحية ما عداها، كشحةُ برق مكّنت عيني أن تلتقيا بعينين تحت كتلة الحديد المهروسة، فيهما توسلٌ ورجاء، امرأة الجبال الملطخة بدماء أجسادِ الأطفال الممزقةِ بأسنانها مسيطرة على عالمي الطفولي. بدأتْ تئن أناتٍ لا يسمعها إلا القريب منها جدًّا، وتخبرني بعينيها أن أطلب لها النجدة والمساعدة، أنا الوحيدة القريبة منها، وأنا وحدي أسمعها وأنظر إليها؛ لكني أخفيتُ أمرها لم أخبر أبي وأخي، كتمتُ الاستغاثة، صرختُ بهما أن يستعجلا العودة، لم أشر إليها ولا إلى الخرم الصغير من الحديد المتآكل الذي يُظهر نصفها العلوي، حتى إضاءة سيارتنا الخافتة لعبت معي لعبة الكتمان؛ فجاءت في اتجاه مستقيم لا ينكسر إلى تلك الجهة التي ترقد فيها المرأة، ظل وجهها ونظراتها يشعان مع كل لائحة برق تشق السماء. صحتُ بأبي وأخي؛ فعادا، وركبنا السيارة بعدما تأكدا أن لا أحد على قيد الحياة، وبقتْ تلك الفتحةُ الضيقة التي تُظهر المرأة في هذا الظلام الدامس سرًّا لم يُكشف لأحد.







استغرب مجيئه:

- أهلاً ! ما هذه المفاجأة السارة؟، آخر شيء يخطر على البال أن يرن الجرس لأجد وراء الباب عم سليمان! تفضل يا رجل كيف حال الأولاد؟ دائمًا أرسل سلامي لك معهم؛ يصل أو يطيَّرونه؟!

- بل، يصل.

قدَّم له القهوة والتمر. بعد حديث عن مشاق الحياة والمعيشة سأل الرجل الكبير الشاب:

- ما أخبارك؟

- ابشر يا عم! سأتزوج، فاتحتُ إحدى العائلات، والحمد لله استقريتُ في الوظيفة.

- ما شاء الله.

بعد سكتة قصيرة أعقب الرجل الكبير:

- كم عمرك؟

ردَّ الشاب:

- ٢٧ سنة.
- أبوك عندما مات كم كان يبلغ من العمر؟
- ٦٣ سنة.
- وأمك؟
- ٦٧ سنة.
- يظهر أن عائلتك عمرها المفترض في الستين.

ضحك الشاب وقال:

- ربما.
- هل سمعتَ أن أحدًا من عائلتك مات فوق الثمانين؟
-لا، لا أظن، غالبًا يموتون في الستينيات أو السبعينيات.
- ألاَ تخاف من الموت؟!
- كيف يخاف أحد من الموت؟! وهو مكتوب على كل بني آدم.
- يعني ألا يشغلك أو يقلقك أمر الموت؟!
- لا، أبدًا، هل أنا الوحيد الذي سأموت في الدنيا؟، جميع الناس هذا طريقهم.
- معنى هذا أنك تستمتع بحياتك دون أن تحسب حساب يوم موتك، ولا تزهد في الحياة بسبب هاجس الموت.
- لا، وإلاّ كنتُ غير هؤلاء الناس. لا أحد يفكِّر في موته، يعيش حياته كما هي، ومتى جاء الموت، فهو حكم.
- إذن أنتم عائلة متوسط عمرها السبعينيات والستينيات.

- يا مَن يعيش!
- أنت، إلى أي عمر -في اعتقادك- ستعيش؟
- تقصد أبلغُه لأموت؟.. لكل عائلة وشعب متوسط عمر، وعائلتي متوسط عمرها في الستينيات والسبعينيات.
- وأنت أذن ستموت في الستين أو السبعين.
- ربما،مثل جميع أفراد العائلة، بل مثل جميع أفراد البلدة.
- ما أقصى عمر يتمناه الإنسان ليموت فيه؟
- طول عمرنا نسمع في الدعاء "اللهم مد في عمره حتى يصل مئة عام"، "يا رب دعه مئة عام"، "إن شاء الله يعيش مئة عام"، لكن هذه على سبيل المبالغة في الدعاء.

قال الكبير:

- ماذا لو مِتُّ أنت وعمرك مئة؟!

قال الشاب:

- يا الله، ما هذا؟! معقول! أعوذ بالله من الهِرَم.
- اسمع! يا بني، إذا قلتُ لك إني أعرف الدقيقة والساعة واليوم والسنة التي ستموت فيها ماذا ستقول؟!
- أقول "استغفر الله!" لا يعلم الغيب إلا الله.
- وإذا قلت لك إن عزرائيل أتاني في المنام، وأخبرني بدقيقة وساعة ويوم وشهر وسنة وفاتك، ماذا ستقول؟!

انساحت رشفة القهوة حارةً في جوفه، وكأن ظلمةً غشيتْ لثوانٍ المكانَ. وصداعٌ يضغط جبهته لم يستطع معه رفع جفنيه، قال:

- كيف؟!

قال الكبير:

- رؤيا منام.

- ماذا أخبرك؟

- لا، يا ولدي، عشْ حياتك، واستمتع بها، وتزوج، وهات الأولاد، وكن كالبشر الذي يعيش إلى أن يحل موته ويرحل، وهذا ما قلتَه أنت أيضًا قبل قليل.

- أرجوك، بماذا أخبرك؟

- يا بني، تعوّذ من الشيطان، وانس الأمر، وعش حياتك مثل بقية الناس الذين لا يعلمون ساعة موتهم.

- بل، أنت تعرف.

- أستغفرُ الله! - أقول لك- عزرائيل أخبرني في المنام.

- أرجوك، طالما أن الرؤيا رسالة، فرجاءً أخبرنيها!

قال الكبير:

- كنتُ أظن أن الرؤيا بشرى خير، ولكن بما أنك تعوّذتَ من الهِرَم، تغيّرتْ نظرتي للرؤيا. على العموم في أي يوم نحن، وفي أي شهر، وفي أي سنة؟

قال الشاب:

- في اليوم السابع، الشهر الأول، سنة ٢٠٠٨ ميلادية.

قال الشيخ:

- أخبرني عزرائيل في المنام أنك ستموت في الساعة الرابعة عصرًا، في اليوم الحادي والعشرين، الشهر الحادي عشر، عام ٢٠٩٧ للميلاد.

خرج الشيخ، ودخل هاجس الرؤيا مُقصِيًا سائرَ شئونِ حياة الشاب. شغله عن كل ارتباطاته الدنيوية، وعن كل ما تقتضيه روحه، وعن كل احتياجات بدنه. تطل تفاصيل الرؤيا في جلساته ورقاده، وحتى في صحون طعامه. جافى النوم، ورفض الطعام، وغاب عن العمل، لا يرى إلا ذلك اليوم، ولا يسمع إلاَّ صوت الشيخ وهو يذكر وقت الساعة، وتاريخ اليوم والشهر والسنة. كل دقيقة تمر تسرق نفَسًا من أنفاسه في الحياة، طلوع الشمس مثل غروبها كلاهما يقتل يومًا من حقه.

يقول لمن يطلب منه الابتهاج والفرح: من أين تجيء السعادة؛ ولي موعدٌ في الساعة الرابعة عصرًا، في اليوم الحادي والعشرين، الشهر الحادي عشر، سنة ٢٠٩٧ ميلادية.. ولمن يطلب منه إتمام ترتيبات الزواج: ما الفائدة من العائلة؛ ولي موعدٌ في الساعة الرابعة عصرًا، في اليوم الحادي والعشرين، الشهر الحادي عشر، سنة ٢٠٩٧ ميلادية. ولمن يأمره بالمواظبة على وظيفته: لِمَ التعب والشقاء؛ ولي موعد في الساعة الرابعة عصرًا، في اليوم الحادي والعشرين، الشهر الحادي عشر، سنة ٢٠٩٧ ميلادية.

سياسة : عوِّد الحواس
يكن كل شيء مباحًا

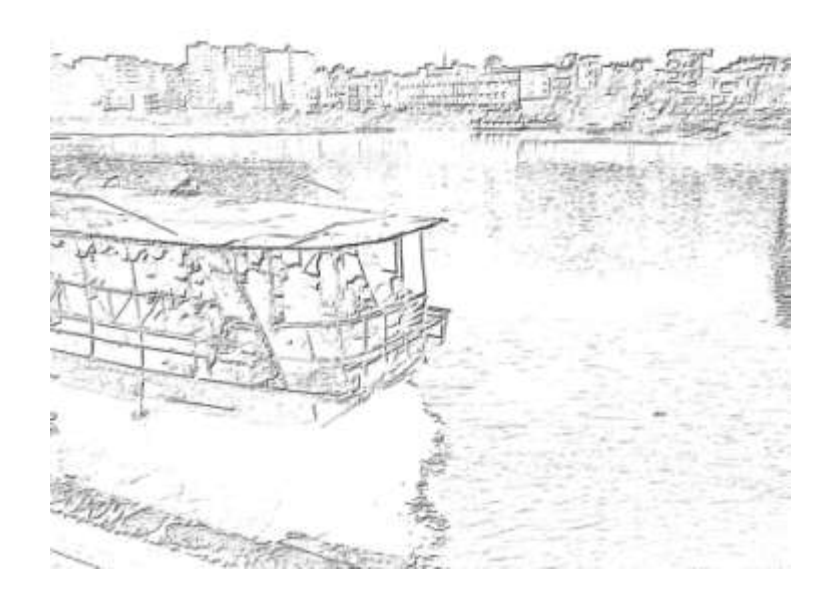
– أغلقتَ البابَ؟!

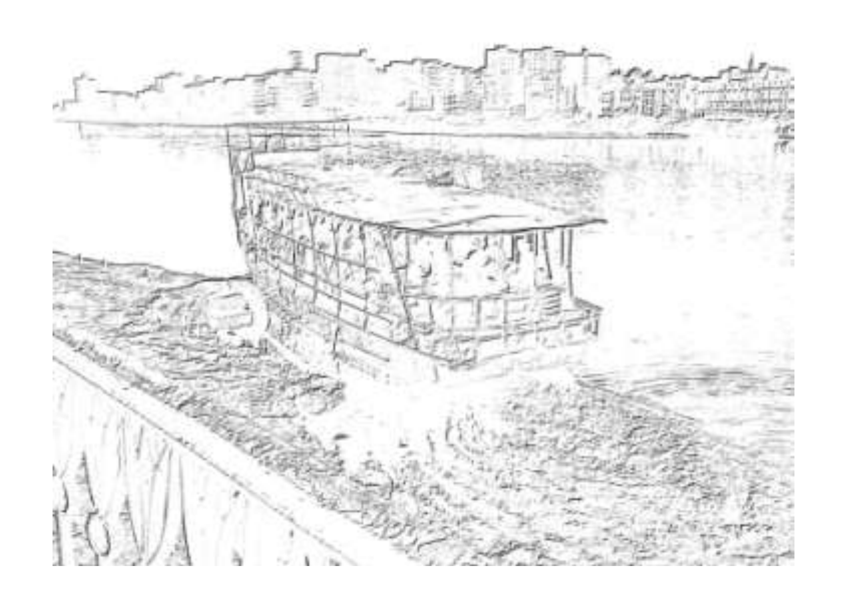
– إذن سلِّط الإضاءة الخافتة!!

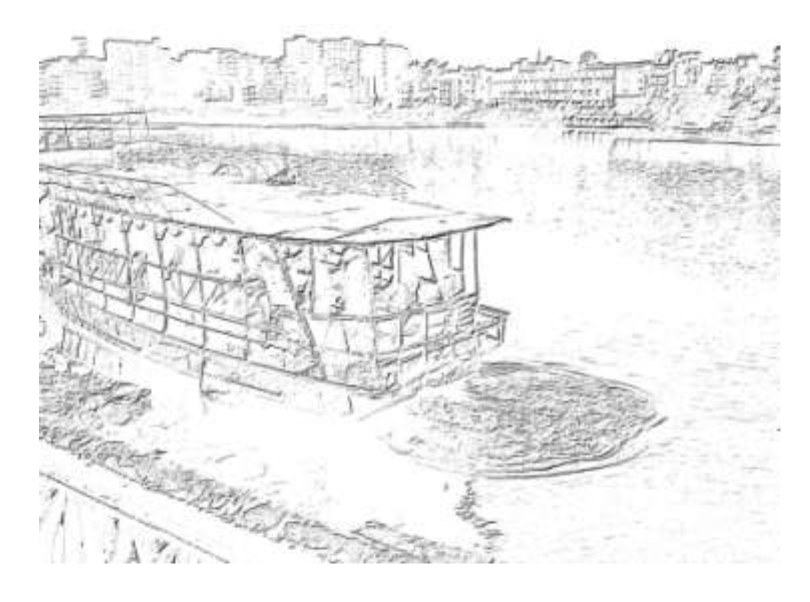
نفث أحدهم دخان سيجاره؛ فدخل المكان في غشاوة، مرغنا شفاهنا بالصابون ونفخنا الرغوات؛ فصار المكان أكثر ضبابية في تموجات ألوان الطيف، صوَّرنا الطفل العاري مع طلب أيقونة تكبير؛ تكبير ما نحتاج تكبيره ، ثم ضغطنا [إرسالْ].

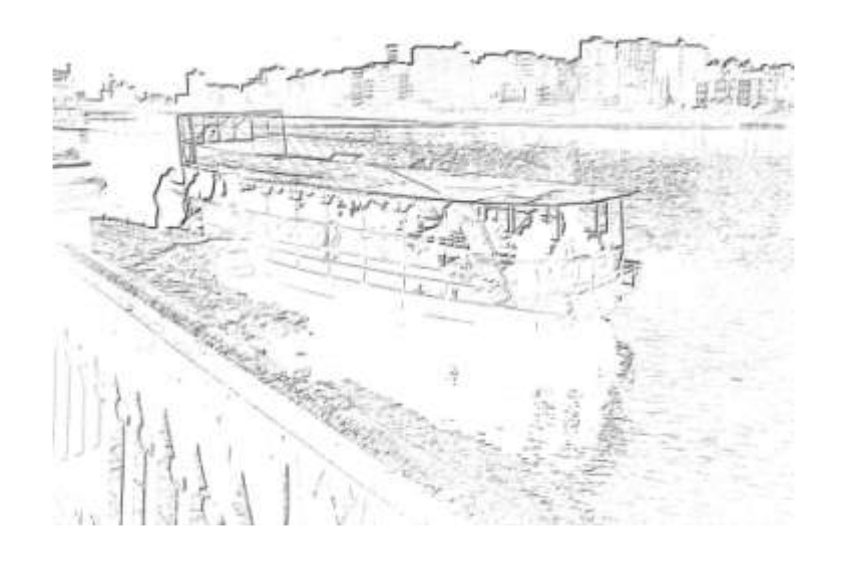
ترددتْ الكلمة في الصباح والمساء (زلط ملط، زلط ملط، زلط ملط) حتى صارت كـ(صباح الخير [يامعلمين]). هذا البند الأول، هات البند الثاني!! البند الثاني صعب جدًا (دقّ الحديد وهو حام). حرف الشين، ألف مد، حرف الذال؛ بطريقة ما أضفنا طفلاً ثانيًا، ترددت الكلمة أعلاه في الأعياد والمناسبات، صارت (كل سنة وأنتم [طيبين])، نفذنا البند الثالث والرابع و........

سافرتُ إلى مصر، في الإسماعلية ظهري يتكئ على سيارة الفارس الأشقر تحمل شعار (يو إن) أنتظره ينتهي من ارتجاجات الزورق به، لم يذهب عميقًا في البحر يترجرج قرب الساحل، أشار إليَّ بالتقدم، انتظرتُ الشاب المصري ينهي لفّ وريقات البانجو الخضراء؛ البانجو في مصر (مية مسا عالحلوين) قفز المصري وجلستُ مكانه، بسطتُ يدي؛ فردني إلى الرأس بين العمودين في بلدي، أعطاني الأخير كرتون بامبرز، وعلبة حليب مجفف للرضع، وقرقوشًا للتسلية.. المكافأة لم ترق لي؛ فأعلنتُ العصيان.









أغلقتُ الغرفة بدورتين من المفتاح (طق طق) نزعت لوحة (الاغتصاب في الشوارع أهلاً وسهلاً) من فوق الباب ومزقتها. دخلت الغرفة الثانية بدورتين من المفتاح (طق طق) اشترينا طراطيع وشروخًا من سوق الحمام، أحضرنا سكينة حادة وشمعة ودجاجة؛ غطينا الطراطيع والشروخ بنشارة خشب وقليل من الأتربة، ألصقنا عدسة الكاميرا فغطى المنظر الشاشة؛ شعت نار وتناثر تراب وتطايرت نشارة الخشب؛ (تفجير تفجير تفجير... ينوّر لياليكم... مساء النور والأضواء). أشعلنا الشمعة في ظلام الغرفة فظهر ظلا نصل السكين ورأس أحدنا كبيرين على الجدار، بسرعة

متناهية تم إغلاق الكاميرا وفتحها مع كاتم الصوت على صرخة الدجاجة (باق بقبقبق) رشق الأحمر القاني الشاشة وسال في الشارع وترددت في الأسماع (ذبح في الشوارع ذبح في الشوارع ذبح في الشوارع كيف حال الأولاد؟!!).



خمسة خطوط ودائرة في الوسط وصوت (طع)، صورة مع نغمة أخذتها على قفاي... في المرة الثانية أحضرتُ قردًا معي قايضته بسيارة سكراب من عامل هندي. نطَّ القردُ على النخلة وقذفنا بالتمر، صفَّقوا لي ورفعوا أصابع الإبهام وقالوا: (مية مية).

نخلةُ جدي سبيلٌ غيرُ مقيدٍ في وقف.. سُقُوطي من منتصف النخلة وأخْذِي الصفعةَ على قفاي، وأكْلنا التمرَ الذي رماه القرد آخرُ شريطٍ مسجلٍ للنخلة بُثَ في ذاكرتي وأنا أدفعُ آلةَ المشروبات الغازية المقامة على أنقاضها.

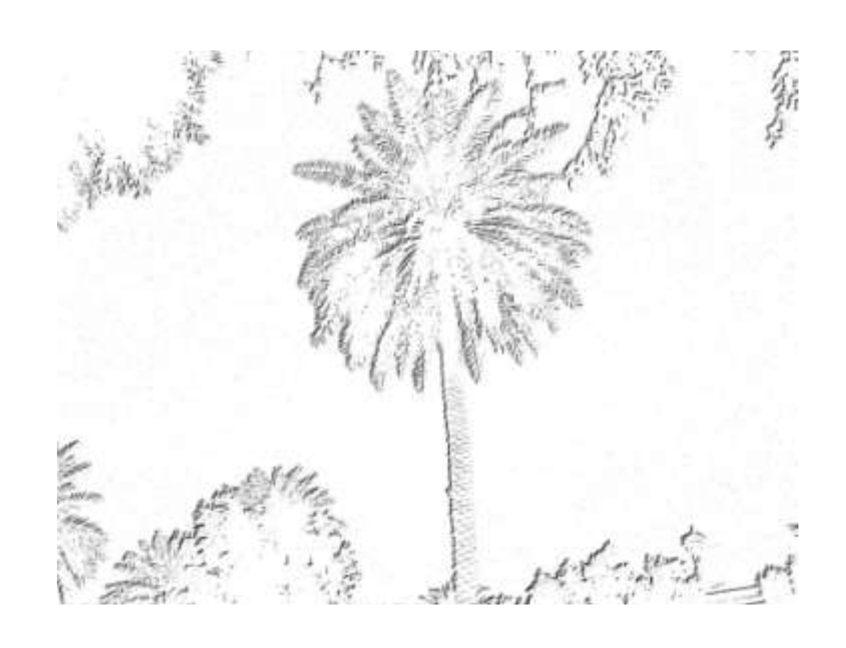
هيكلها الممثّل به مُلقى في مَزْبَلة الحارة بعدما ركب الأطفالُ سعفَها أحصنةً وقضى المراهقون لياليَ سمرٍ ملتفين حول لهيب ليفها. صاروا يدفعون ليشربوا، يُلقمون فمَ آلةِ المشروبات العُملة، تزدردُها بشراهة وتقذفهم بفضلاتها علباً مثلجةً، وقد كانوا يأكلون دون مقابل، يأكلون التمرَ حتى التخمة بالمجان.





زحزحتُ آلة المشروبات للأمام فظهر جذعُها المتفحمُ ساووا به الأرض حين أعجزهم وأحرقوه.. أتردَّد عليها يوميًا أشذِّبها وأسوسها، أبثُّ فيها الحياة؛ قامتْ بمحاذاة مكنة المشروبات، توقّف نموُّها عند المترين، وكانت قامتها تصل إلى عشرات الأمتار، أصبحنا لا نحتاج إلى حبالٍ وسلالم خشبٍ ولا إلى قردٍ نشتريه؛ عِذَاقها تتدلى وتصل إلى أيدينا، نخرف تمرها من الخلف، جرم الثلاجة يحول بيننا من الأمام.

قلتُ وأنا أكوم في فمي ثلاث تمرات خلفن في يدي نَوىً ثلاثًا: عندي أمنيّتان؛ الأولى أن ندفع المكنة بعيدًا عن النخلة، والأخرى أن ترجع النخلة إلى طولها القديم.
قالوا: أن ترجع إلى طولها القديم مستحيلٌ؛ عتيق النخل إذا اجتثَّ وقام؛ يتوقف عند طول معيّن لا يتعدّاه، أما دفعُ الآلةِ بعيدًا عن النخلة فهذا المستحيل الثاني؛ قضينا معها زمنًا تعوّدنا فيه على المكان، وحفظ السكانُ فيه الموقع.
مضغتُ التمر وقلت: (نصف البلاء ولا البلاء كله).



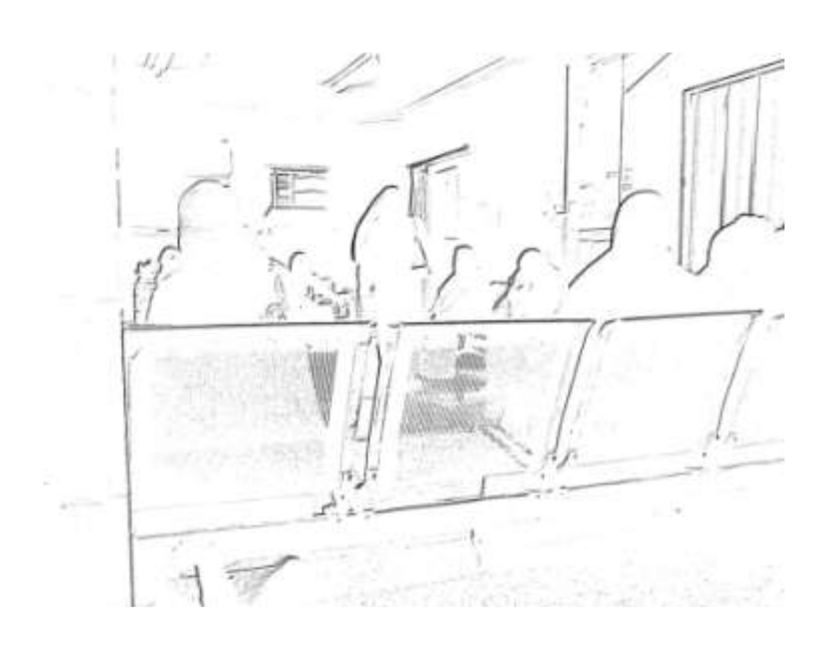


هناك مَنْ يحوم في الظلام الذي يتماس مع محيط الضوء، وهناك من يحوم داخل الضوء، وهناك من يحترق بالضوء...

لا أتكلمُ عن فراشات العطَّار، ربما يَكُنَّ رمزًا لذلك، بل أتكلَّمُ عن الرجال الثلاثة، وعن الرومانسية السلبية والرومانسية الإيجابية والرومانسية المتطرفة التي تقسو على النفس في سبيل الآخر.

نُعيبُ المقدماتِ الإنشائيةَ وهذه إحداها؛ أرجوكنَّ اعذرنني!! لأنَّ موضوعاتٍ معينةً لا تقبل إلاَّ تلك الصيغ الإنشائية الجاهزة نَدخُلُ من خلالها إلى الأفكار مُرغمِينَ لا مفتولي العضلات، ربما تكون الموضوعات التي تَفرِضُ بداياتٍ إنشائيةً هي نفسها موضوعاتٌ تقليدية.

اخْترن فراشةً أعني رَجُلاً واحدًا من الرجال - المذكورة قِصَّتُهم مع المرأة فيما يلي - يَكونُ أكثرَ مقبوليةً عند كلِّ واحدةٍ مِنكن، وإجابتكن لا تكونُ مقبولةً لدي إلاَّ إذا توافقتْ مع الإجابة النموذجية المدونة عندي!!



حِكايتهم معها – وأُنبِّهُ للمرةِ الثانية لا تخلطن بين الرجال في الحكاية وفراشات النيسابوري الثلاث؛ تلك موضوعهن أخرويّ، وموضوعنا دنيوي، هُنَّ فقط ،كما ذكرتُ، رمزٌ لا أكثر –.
يَنظُرُ إليها بفمٍّ مَخيطٍ ولسانٍ عاجزٍ عن تمزيق تلك الخيوط؛ في خياله شبَكتْ يداه يدَها يستنشقان معًا بأنفين ملتصقين وردةً واحدةً حمراء يقطفها من العالم الواقعي يملؤها بالعطر الاصطناعي، وتَصِلُ به الأهواءُ إلى الضمِّ والتقبيل، فيُعيدُ وخزُ شمسٍ حارقة وردةً تَقبضُ عليها يدان لا ثالثة بينهما، وأنفًا واحدًا مائلاً يلتصق بوجهه، وطار مَن بالعناق، وانْفكَّ التقبيلُ عن فَراغ.

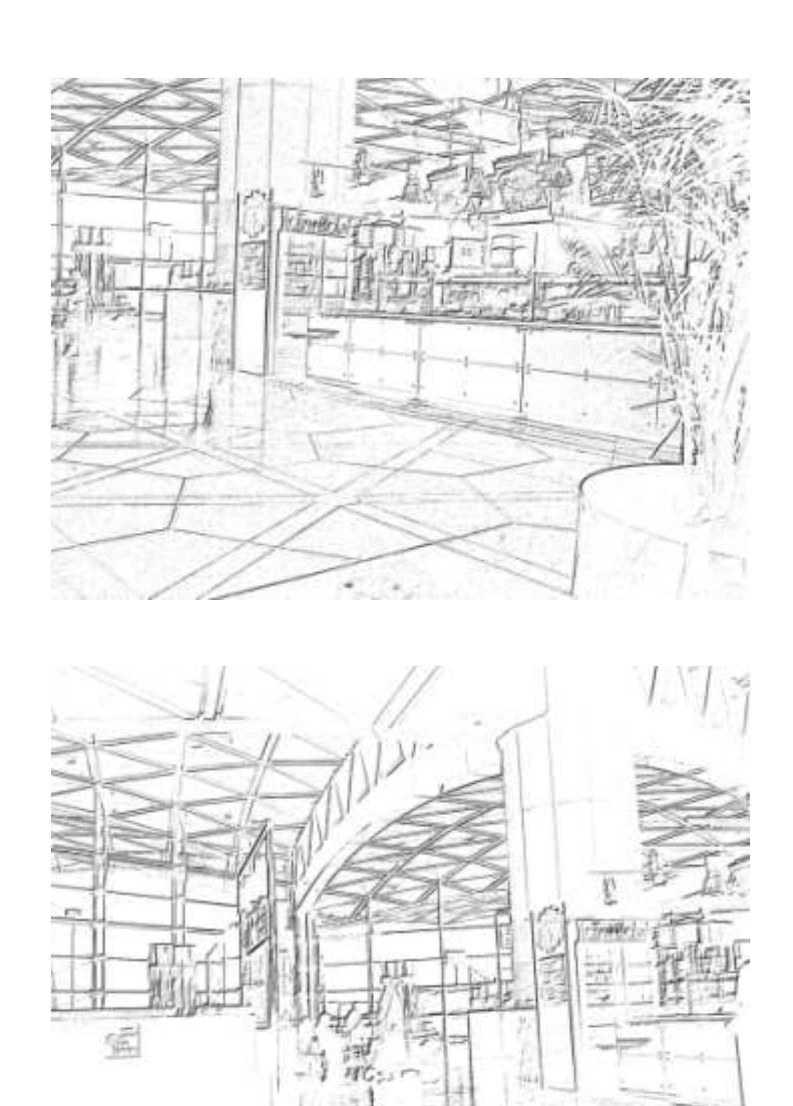
يَخافُ لكمةً تزيد ميلان أنفه، وهَبْدةً تُغوِّصُ عينَهُ، ويدًا تَلُفُّ رقبتَهُ، تزايدتْ خيوطُ فمه فخاطتْ عينيه فرأى الظلام، وخاطتْ فتحتي أنفه فتساوت الورود الاصطناعية بالطبيعية، وخاطتْ يديه على جسده فاكتفى بضمِّ نفسِه، وخاطتْ قدميه في مكان وقوفه فتبدَّلت الفصولُ وغطَّت الشمسَ الحارقةَ غيمةٌ في الصيف، وشجرةٌ في الربيع، واصفرارُ عاصفةٍ في الخريف.

حام ثم حام، ومَنْظَرُ اللكمات والبصقات والبوكسات والضربات والهدَّات. وكُلُّ ما ينتهي بالألف والتاء يجعله لايزال يحوم في مكانه.
كُلُّ خيالات الفراشة الأولى جَسَّدَها الرجلُ الثاني واقعًا حقيقيًّا معها بلا دموع وبلا آهات وأنات وحسرات، وآت. غطاها بالهدايا الرمزية والتذكارية وباقات الورود، وكلمات الغزل الجاهزة عبر رسائل الجوال النصية والوسائط وعلب الشوكولاتة والمشروبات الساخنة والباردة في المنتزهات والحدائق الحكومية.

حام ثم حام وحدوده المالية تضيق، والغلاء العالمي يكسر يديه، وأصدقاؤه يَضيِّقون به سَلفًا وتدينًا وشحنًا لشريحة الجوال وتأجيرًا للسيارات ودعواتٍ مَجانيةً للحدائق والمتنزهات الخاصة، وكوبونات مدفوعة الثمن للمطاعم الرديئة والمحال الرخيصة. يعلم أنَّ مشاعِرَها تِجاهَهُ عاديةٌ؛ لكنَّهُ وَجَدَ سعادتَها كافية ليخسر ماله ويتسلَّف ويَضرِبُ رأسَهُ بالجدار. يَخاف أنْ يَتطوَّرَ الأمرُ إلى مَحال

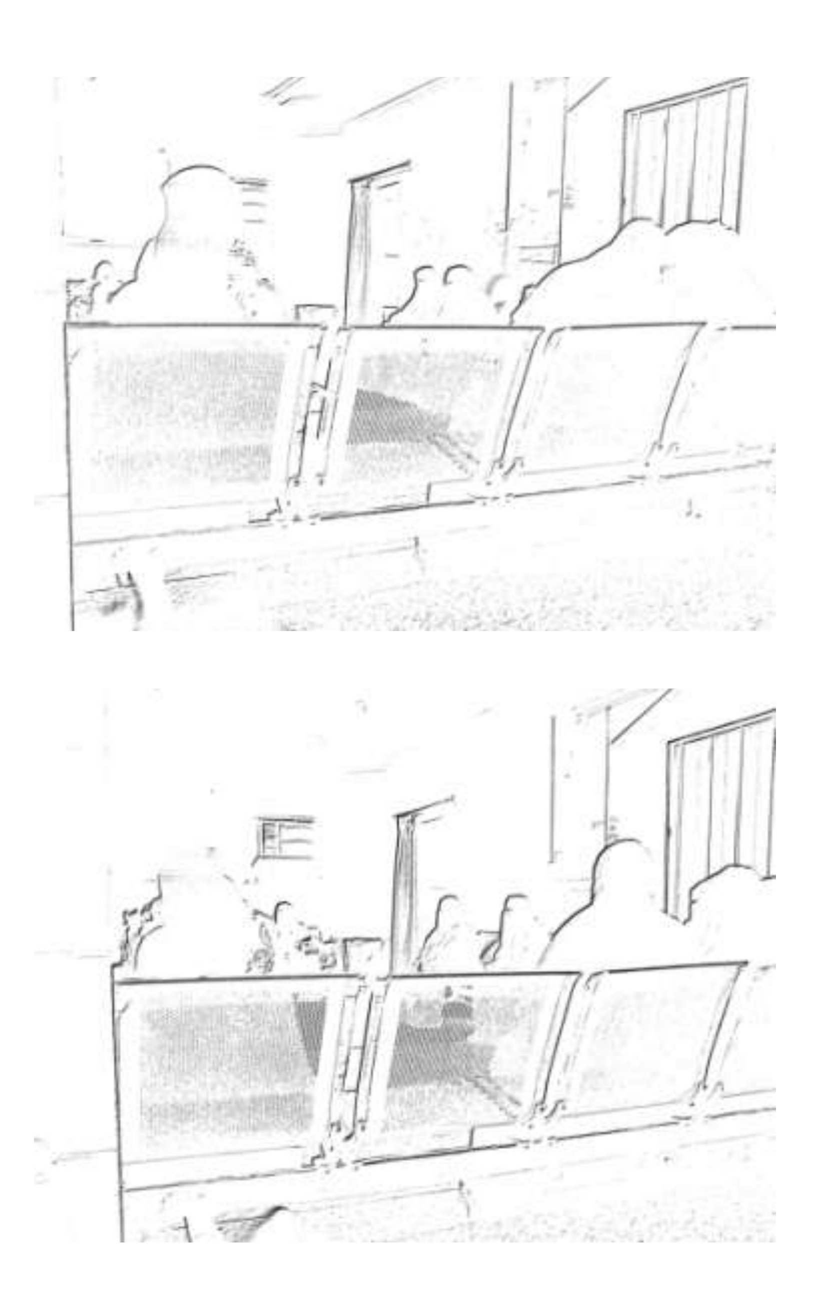
الخمسةِ نجوم، ومتاجر الألماس، والمطاعم المعلَّقة. وكُلُّ صيغ مُنتهى الجموع تجعله لايزال يحوم.





الطعامُ يَبردُ ويُرفَعُ دون أن تمسَّه شفتاه – نحن نتكلم عن الفراشة الثالثة – يُعذِّبُ نفسَه بالوقوف بالحرِّ الخانق أو البرد القارس لو إغفاءةٌ سرقتْهُ؛ لأنَّهُ خانها وأَراحَ عقلَه من التفكير فيها. عيناه سحَّاوان ليس بالليل كعادة العشاق بل النهار أيضًا، وهذا تطوُّرٌ طبيعيٌّ للعشق. وفيه بقية الصفات المكرَّرة التي تأتي في وصف العشاق؛ اللون الأصفر والأزرق، والهُزال، والعظم المكسوّ بالجلد، وغيرها من تلك الصفات الدالة على قلَّةِ الأكلِ والنومِ والزوغانِ وهَمِّ التفكيرِ. تصريحُ المواطنةِ الجديدُ فَتَحَ له أبواب الدوائر الحكومية، ومؤسسات الدولة؛ لكنه لم يُفدهُ في النفاذ إلى بيوت العائلات، ومصاهرتها، قبل المواطنة عاش ضيفًا مكرمًا في تلك البيوت، وبعدها سُلِبتْ عنه مكرمةُ الضيف وعجز عن أن يكون مُضيفًا لإحداها.

يَخافُ المُعايرةَ بجواز سفره القريب العهد بالتجنس؛ فحام ثم حام وعينُهُ – لو اقترب – على المَرْمَطة والبَهْذَلة والجَرْجَرة. وكُلُّ وزن فَعْلَلَة يجعله لايزال يحوم في مكانه.
بعد سماع الحكاية فكِّرنَّ.. تشاورنَّ.. خُذنَّ وقتًا، ثم لِتَضع كُلُّ واحدةٍ منكنَّ نفسَها مكان المرأة وتختار الرَجُلَ الأنسبَ لها، رجلاً واحدًا فقط!! ولا تقلنَّ ما للمعلمة شطحتْ ونطحتْ وصاعتْ وضاعتْ ولم تجد إلاَّ هذا الموضوع؟!



تغامزتْ الطالباتُ مرتابات في المعلمة؛ ففي الحكاية ضمٌّ وتقبيلٌ، أمورٌ حيَّرتْ خيالهنَّ في تصوُّرِ بطلة الحكاية في صورة المعلمة، ولعبتْ في عقولهن مقولةُ مَن لا يَعرِفُكَ يَجهَلُكَ، فقامتْ تلميذة بادئةً بسؤالٍ تمهيديٍّ يَسبق السؤالَ المسلول من لسانها الطويل لتقطع به الشكَّ باليقين: أهؤلاءِ الرجال الثلاثة أزواج تلك المرأة؟

أجابت المعلمة: يا ذكاء مَنْ أنجباكِ، وأين سقطت السواطير والسكاكين والأكياس السود من القصة لو كان الرجلُ الثاني زوجًا لمرأةٍ؟!

ثم جاء سؤالها الذي مالتْ آذانُ زميلاتها إليه: بطلة الحكاية مَن تكون؟

أجابت المعلمة: أنتِ، وكلُّ طالبةٍ تسألني مَن تكون تلك المرأة سأقول لها أنتِ.

قالتْ طالبةٌ لزميلتها: ألم تُلاحظي المعلمةَ تَخلط؛ مرةً تقول فراشات العطَّار، ومرةً تقول فراشات النيسابوري، لا تُركِّزُ في فراشاتِ مَنْ بالضبط تُريد؟!

ردَّتْ زميلتها: فراشات العطَّار.. فراشات النيسابوري.. فراشات اللهو الخفي، موضوعنا الرجال، ركزي فيهم، طيِّري الفراشات من دماغك، إنَّهُنَّ رموزٌ فقط، كم مرة المعلمة كرَّرتْ ذلك؟!

همستْ طالبةٌ في أذن زميلتها: الثاني حلوٌ.

ردَّتْ زميلتها: اللزقة، لا، أنا أكره اللزقات.

استرقت السمعَ أخرى وقالت: ضَمٌّ وتَقبيلٌ، لا...لا.... عيب أنتِ وإياها!
ردَّتْ عليها الأولى: عيب.. ضم وتقبيل.. عيب، يظهر أنَّ عهدَكِ بالبث الفضائي لا يتجاوز روتانا زمان وفيلم (المَخدَّة الخالية).
صحَّحت الثانية: الوِسادة الخالية.
الأولى: مخدة.. وسادة، المهم أنها خاوية أو خالية لا أدري، لست مِن هواة الأبيض والأسود.

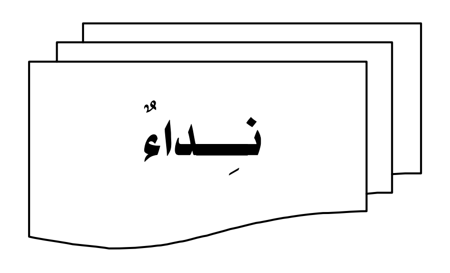
قالت طالبة لزميلتها: سأختار ذا اللون الأصفر والأزرق؛ لأني أشجِّع نادي النصر.
ردَّتْ زميلتُها: رَجُلٌ لا يأكل ولا يشرب يَصلُحُ لي أنا، لأني لا أُحِبُّ دخولَ المطبخ.
ردَّتْ الأولى: ولونه الأصفر والأزرق ماذا ستفعلين بهما وأنتِ تشجعين الهلال؟!

قالت طالبة لمجموعة من الطالبات: أنا.. قبل أنْ أختار لا بُدَّ أنْ أعرِفَ هذا الدرسُ مِنْ أيِّ مادةٍ في المنهج، وما معنى إجابة نموذجية؟! نحن نختار لنا أو لها؟!
ردَّتْ إحداهنَّ: أمَّا الدرسُ ففي مادة كيف تصبحين خَطَّابةً في سبعة أيَّام، أمَّا لِمَنْ نختار فلا يهم لنا أو للمعلمة أو حتى لبطلة الحكاية؛ لأنَّ الزواجَ في النهاية قسمةٌ ونصيبٌ وليس إجابةً نموذجيةً.

بعد أن توزَّعت اختيارات الطالبات على الرجال الثلاثة، قالت المعلمة: لم أتوقع أن طالباتٍ سينعتقن في نهاية العام من التعليم التربوي إلى التعليم العالي، وفي زمن الفضاء والاتصال الإعجازي تتوقف اختياراتهن عند الرجال الثلاثة، أين الرجل المثلث؟! لماذا لَمْ تختارْ ولا واحدة منكن الرجل المثلث، الإجابة النموذجية عندي هي أنْ تخترن الرجل المثلث الذي يتمتع باجتماع الفعاليةِ الثلاثية القوَّةِ والمال والسلطة.

تبادلت الطالباتُ نظراتِ الاستخفافِ بتلك المعلمة التي تحكي وتنسى ما تحكي، فقامتْ طالبةٌ، وقالت: يا أستاذة كيف نختار رَجُلاً من القصة غير موجود فيها أصلاً، أنتِ لم تأتي على ذِكْرِ لرجُلٍ مُثَلَّثٍ ولا مُرَبَّعٍ ولا متوازي الأضلاعِ.

قالت المعلمة: لم يأتِ ذِكْرُ الرجلِ المثلثِ في الحكاية!!! هل تعرفنَّ أنَّ كُلَّ رجلٍ من الرجال الثلاثة الذين اخترتنهم قد جاء ذِكْرُه في القصة مرَّةً واحدة فقط، والرجل الرابع الذي تجاهلتنَهُ جاء ذِكْرُهُ في القصة ثلاثَ مراتٍ، ومع ذلك لم تلحظنه، بل تدعينَّ أنه لم يرد في القصة، وأنا لم أَذْكُرْهُ، أَعِدْنَّ القصةَ في مُخيلاتِكُنَّ ستجدْنَهُ يُطِلُّ عليكن في حكايةِ كُلِّ فراشةٍ آآآآ رَجُلٍ.



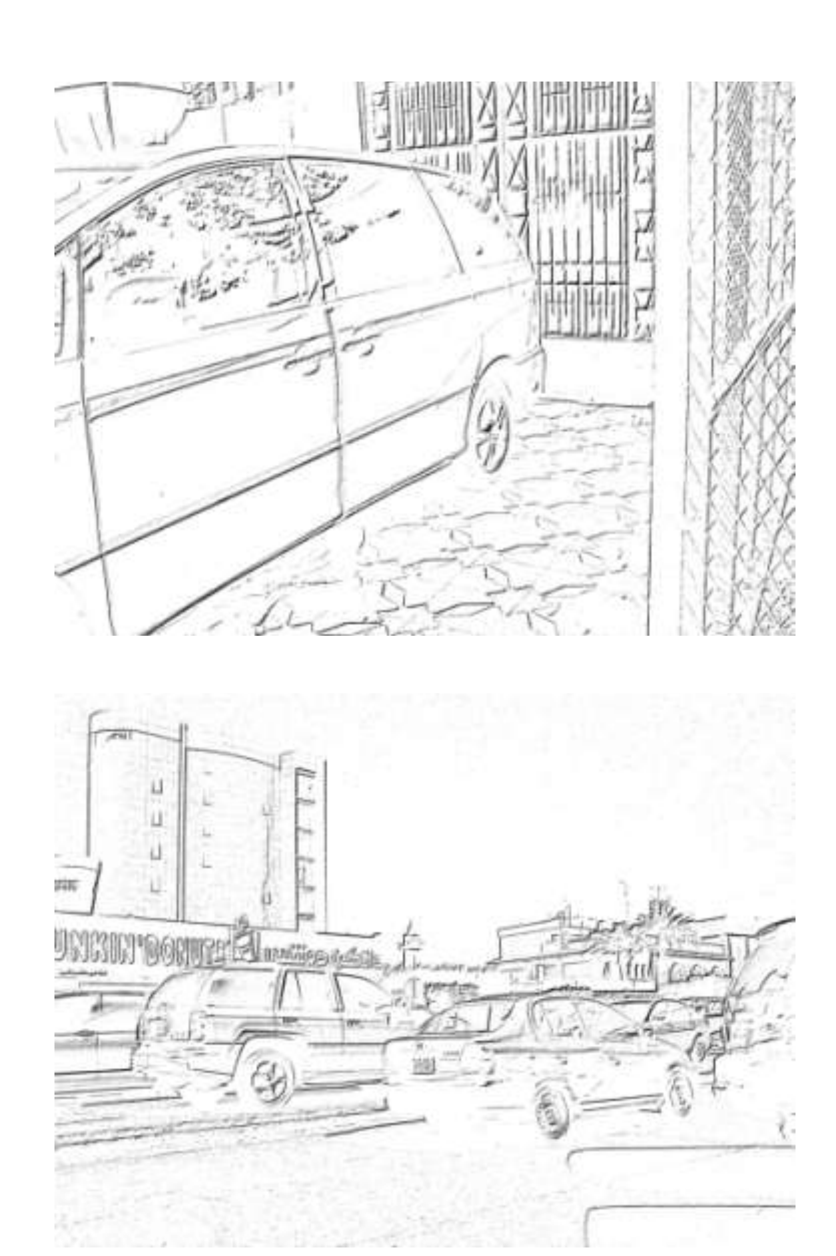
- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ خَافِتَةٍ -

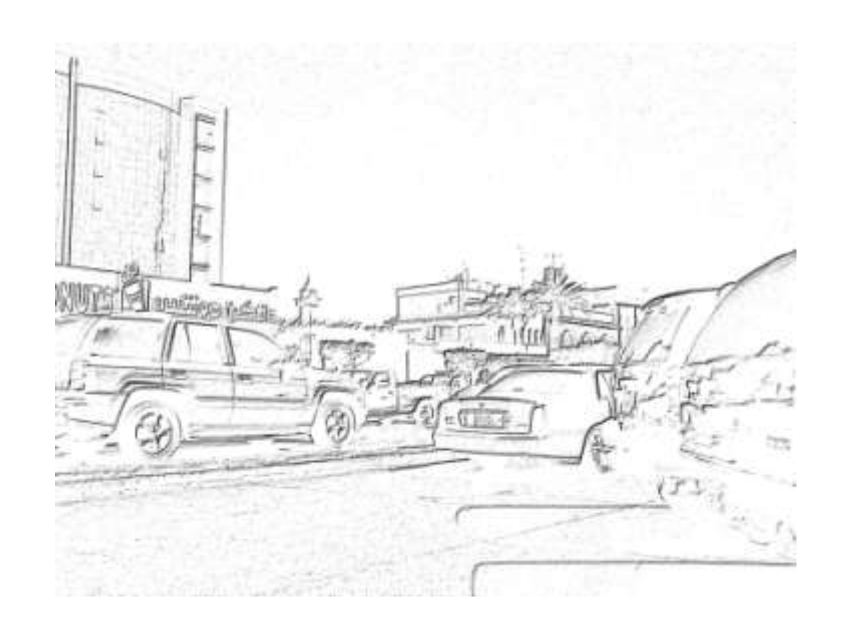
- "مَامَا"

تَسَمَّرَتْ فِي مَكَانِهَا فِي الطُّرْقَةِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى فِنَاءِ الْبَيْتِ، اسْتَدَارَتْ بِبُطْءٍ ونَظَرَتْ إِلَى الْبِرْوَازِ المُعَلَّقِ فِي الصَّالَةِ فِي مُوَاجَهَةِ الطُّرْقَةِ، وَاسْتَعَاذَتْ مِنَ الشَّيْطَانِ.....

- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ سَاطِعَةٍ -

رَكِبَتْ السَّيَّارَةَ الْوَاقِفَةَ فِي فِنَاءِ المَنْزِلِ، أَدَارَ السَّائِقُ الَّذِي يَنْتَظِرُهَا دَاخِلَ السَّيَّارَةِ المِفْتَاحَ، وَخَرَجَتِ السَّيَّارَةُ مِنَ الْبَابِ الحَدِيدِيِّ المُخَصَّصِ لَهَا. الْمَسَافَةُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى العَمَلِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ صَبَاحًا تَبْدُو مُمِلَّةً وَطَوِيلَةً، مُزْدَحِمَةً بِالْمَوَظَّفِيْنَ والطَّلَبَةِ، هَذَا الْيَوْمُ لَمْ تَرَ طَوَابِيرَ السَّيَّارَاتِ وَلَمْ تَسْمَعْ ضَوْضَاءَ الصَّبَاحِ شَارِدَةً فِي الصَّوْتِ الَّذِي سَمِعَتْهُ، نَشِطَ الْحَنِينُ الْخَامِلُ فِي أَعْمَاقِهَا وَبَدَأَ يَتَحَرَّكُ وَيَنْتَشِرُ فِي جَمِيعِ خَلَايَا جِسْمِهَا، سَنَةً كَامِلَةً لَمْ تَسْمَعْ فِيْهَا كَلِمَةَ (مَامَا).







سَاعَاتُ الدَّوَامِ الأُوْلَى دَائِمًا مَضْغُوطَةٌ بالعَمَلِ؛ أَخَذَهَا الانْشِغَالُ حَتَّى وَقْتِ الضُّحَى وَأَصْبَحَ النِّدَاءُ كَالْحُلْمِ الْمَنْسِي، فِي السَّاعَاتِ الأَخِيرَةِ بَدَأَتْ زَمِيلاتُ العَمَلِ يَشْرَحْنَ لَهَا عَمَلَ الأَطْبَاقِ السَّرِيعَةِ، وَأَصْنَافَ الأَطْعِمَةِ الْجَاهِزَةِ الَّتِي تُغْنِيهَا عَنِ الطَّبِيخِ واسْتِهَلاكِ الْوَقْتِ الطَّوِيلِ فِي إِعْدَادِهِ لِلضُّيُوفِ. مَرَّتْ بالسُّوْقِ الْمَرْكَزِيِّ وَمَلأَتْ سَلَّةَ الْمُشْتَرَيَاتِ بالأَطْعِمَةِ الْجَاهِزَةِ الْمَنْصُوحِ بِهَا مِنْ لَدُنْ زَمِيلاتِهَا، مُنْذُ سَفَرِ زَوْجِهَا وَالأَقَارِبُ يَدْعُونَ أَنْفُسَهُمْ يَوْمًا فِي الأُسْبُوعِ لِلعَشَاءِ وَالسَّهَرِ.

اتِّصَالُ زَوْجِهَا الْغَائِبِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ يَأْتِيهَا يَوْمِيًّا فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ لَيْلاً مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، حَدَّثَتْه عَنِ الْيَوْمِ الصَّاخِبِ بالضُّيُوفِ؛ النِّسَاءِ الثَّرْثَارَاتِ الْمُتَذَمِّرَاتِ، وَالأَطْفَالِ الْعَبَثِيِّيْنَ وَكَيْفَ مَلأُوا الأَرْضَ وَالفَرْشَ النَّظِيفَ بِكَرِيمَةِ الْكَعْكِ وَطَيَّشُوا رَذَاذَ الْمِيَاهِ الْغَازِيَّةِ عَلَى الأَثَاثِ وَنَتَّفُوا أَوْرَاقَ الأَشْجَارِ الاصْطِنَاعِيِّ فِي أَنْحَاءِ الْبَيْتِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَأْتِ لَهُ عَلَى ذِكْرِ النِّدَاءِ الْغَامِضِ صَبَاحَ هَذَا الْيَوْمِ.

قَضَتْ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ بَعْدَ الْمُكَالَمَةِ تَتَقَلَّبُ فِي الْفِرَاشِ تَعْتَصِرُ النَّوْمَ، وَحِيْنَ غَابَتْ شَيْئًا فِيهِ سَمِعَتْ ارْتِطَامًا صَاخِبًا وَصَوْتًا يُشْبِهُ تَحَطُّمَ زُجَاجٍ.....

- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ خَافِتَةٍ -

أَسْرَعَتْ هَابِطَةً إِلَى الدَّوْرِ الأَرْضِيِّ دَارَتْ فِي الصَّالَةِ بَاحِثَةً عَنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ فَإِذَا بِزُجَاجٍ يَمْلأُ أَرْضَ الصَّالَةِ، رَفَعَتْ رَأْسَهَا وَرَأَتِ الْبِرْوَازَ قَدْ سَقَطَ وانْهَشَمَ، قَعَدَتْ وَسَحَبَتْ الصُّوْرَةَ مِنْ بَيْنِ نِثَارِ الزُّجَاجِ، مَرَّرَتْ أَصَابِعَهَا تَتَحَسَّسُ مَلامِحَهُ، وَقَبْلَ أَنْ تَدْفَعَهَا حُرْقَةُ اللَّوْعَةِ إِلَى حَكِّ الصُّوْرَةِ بِأَظْافِرِهَا وَقَفَتْ.
فِي صُعُودِهَا الدَّرَجَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى غُرْفَتِهَا فِي الطَّابِقِ الأَوَّلِ مُمْسِكَةً بِصُوْرَةِ طِفْلِهَا سَمِعَتْ وَصَوْصَةَ كَتَاكِيْتَ كُنَّ يَصْعَدْنَ خَلْفَهَا الْتَفَتَتْ إِلِيهِنَّ، تَذَكَّرتْ أَنَّهَا قَدْ تَخَلَّصَتْ مِنْهُنَّ بَعْدَ وَفَاةِ طِفْلِهَا. كَشَّتِ الْكَتَاكِيْتَ بِأَسَفٍ وَاعْتِذَارٍ دَاخِلِيِّيْنِ تَطْلُبُهُمَا مِنْ صُوْرَةِ طِفْلِهَا، فَجْأَةً اخْتَفَيْنَ....

- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ سَاطِعَةٍ -

دَخَلَتْ غُرْفَتَهَا وَضَعَتْ الصُّوْرَةَ عَلَى الطَّاوِلَةِ، وَنَظَرَتْ إِلَى الْهَاتِفِ تَمَنَّتْ لَوْ أَنَّ زَوْجَهَا يَطْلُبُهَا مَرَّةً أُخْرَى وَيَتَحَدَّثُ حَتَّى الصَّبَاحِ.
اسْتَيَقَظَتْ فِي الْعَاشِرَةِ صَبَاحًا مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنَّهُ يَوْمُ الإِجَازَةِ الأُسْبُوعِيُّ، لَفَتَتْ نَظَرَهَا الصُّوْرَةُ عَلَى الْمِنْضَدَةِ، بَعْدَ تَرَدُّدٍ رَفَعَتْهَا وَتَأَمَّلَتْ مَلامِحَ؛ سَنَةً كَامِلَةً كُلَّمَا حَضَرَتْ فِي مُخَيِّلَتِهَا شَوَّشَتْهَا لِئَلا يَنْفَجِرَ الشَّوْقُ الْمَضْغُوطُ ويُفْسِدُ عِيْشَتَهَا، هَاهِيَ الصُّوْرَةُ الآنَ تُجْبِرُ نَظَرَاتِهَا عَلَى الْغَوْصِ فِي مَلامِحِهِ وَإِلْهَابِ مَشَاعِرِهَا الْمَكْبُوتَةِ.
وَضَعَتِ الصَّوْرَةَ عَلَى السَّرِيرِ وَدَخَلَتِ الْحَمَّامَ الْمُلْحَقَ بِغُرْفَةِ النَّوْمِ...

- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ خَافِتَةٍ -

وَهِيَ مُنْتَشِيَةٌ بِتَدَافُعِ مَاءِ الدُّشِّ يُزِيلُ رَغَاوَى الصَّابُونِ وَالإِرْهَاقَ عَنْ خَارِجِ جَسَدِهَا وَدَاخِلِهِ سَمِعَتْ نِدَاءً وَاهِنًا يَتَأَلَّمُ "مَامَا"؛ الْهَلَعُ جَعَلَهَا تَخْرُجُ مِنَ الْحَمَّامِ مُبَلَّلَةً وَعَارِيَةً، أَقْبَلَتْ عَلَى طِفْلِهَا الْمُضْطَجِعِ عَلَى سَرِيرِهَا، قَعَدَتْ مُجَاوِرَةً لَهُ فِي السَّرِيرِ، حَدَّثَهَا عَنِ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي قَضَاهَا فِي النَّوْمِ الإِجْبَارِيِّ الَّذِي حَرَمَهُ مِنَ اللَّعِبِ وَمُشَاهَدَةِ الرُّسُومِ الْمُتَحَرِّكَةِ وَمُنَاكَفَةِ الأَطْفَالِ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ مُغَامَرَاتِ الرَّجُلِ العَنْكَبُوتِ عَلَى الرَّجُلِ الْخَارِقِ الَّذِي يُطِيحُ بالأَشْرَارِ،عَنْ تَلَفِ الْحَلْوَى الشَّرْقِيَّةِ -الَّتِي يَكْرَهُ فِيْهَا السُّكَّرَ السَّائِلَ الَّذِي يُلاصِقُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- قَبْلَ أَكْلِهَا بِسَبَبِ النَّوْمِ الطَّوِيلِ، عَنِ النَّطْنَطَةِ مَعَ الْكَتَاكِيْتِ الَّتِي يُحِبُّهَا أَكْثَرَ مِنَ الدَّرَّاجَةِ، عَنْ كُلِّ مَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ الأَطْفَالُ فِي عُمُرِهِ؛ خَمْسُ سَنَوَاتٍ لَمْ يَعِشْ مِنْهَا إِلاَّ الْقَلِيلَ قَضَى أَغْلَبَهَا فِي النَّوْمِ الإِجْبَارِيِّ، شَكَى لَهَا كَيْفَ أَصْبَحَ لَوْنُهُ شَاحِبًا وَعَيْنَاهُ صَفْرَاوَيْنِ وَجِسْمُهُ هَزِيلاً، بَدَأَ يُعَاتِبُهَا بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ وَقِلَّةِ حِيْلَةٍ: مَامَا لِمَاذَا كُلَّمَا أَصْحُو مِنَ النَّوْمِ تُعِيدِينَنِي إِلَيْهِ؟! لِمَاذَا يَا مَامَا؟!. ثُمَّ تَدَرَّجَ فِي الاخْتِفَاءِ حَتَّى اُخْتُزِلَ فِي صُوْرَةٍ وَرَقِيَّةٍ بِمَسَاحَةِ٣٠×٤٠ فَوْقَ السَّرِيرِ.....

- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ سَاطِعَةٍ -

لأَوَّلِ مَرَّةٍ تَكْرَهُ يَوْمَ إِجَازَتِهَا وَتَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ يَوْمُ دَوَامٍ وَظِيفِيٍّ. مِنْ عَادَتِهَا تَمْضِيَةُ يَوْمِ إِجَازَتِهَا فِي اسْتِرْخَاءٍ تَامٍّ، لا تَقُومُ بِأَيِّ عَمَلٍ؛ تُفْطِرُ وَتَقْرَأُ الصُّحُفَ وَالْمَجَلاتِ وتُشَاهِدُ بَرَامِجَ التِّلِفِزْيُونَ الْخَفِيفَةَ؛ تَتَنَاوَلُ فَطُورَهَا فِي الطَّابِقِ الأَوَّلِ حَيْثُ خُصِّصَ مَكَانٌ مُجَهَّزٌ بِأَدْوَاتٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ لإِعْدَادِ الْوَجَبَاتِ الْخَفِيفَةِ. اخْتَلَفَ الْيَوْمُ هَرَبَتْ مِنْ غُرْفَتِهَا إِلَى الطَّابِقِ الأَرْضِيِّ، اسْتَغْرَبَتِ الْخَادِمُ نُزُولَهَا فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ وَالنِّصْفِ صَبَاحًا فِي مَوْعِدِ تَنْظِيفِ الْبَيْتِ الأُسْبُوعِيِّ بَعْدَ خَرَابِ لَيْلَةِ زِيَارَةِ الْعَائِلاتِ وَأَطْفَالِهِمْ الْمُخَرِّبِيْنَ، تَرَكَتِ الْمِكْنَسَةَ الْكَهْرَبَائِيَّةَ مِنْ يَدِهَا وَقَالَتْ: هَلْ أُحْضِرُ لَكِ الْفَطُورِ؟ وَهَذَا لَيْسَ مِنَ اخْتِصَاصِهَا؛ لَكِنَّهَا عَرَضَتْ ذَلِكَ شَكًّا مِنْهَا فِي تَغَيُّرِ نِظَامٍ مَا لِرَبَّةِ الْمَنْزِلِ أَوْ طَارِئٍ لأَمْرٍ غَيْرِ عَادِيٍّ. رَدَّتْ عَلَيْهَا: اعْمَلِي قَهْوَةً بِالْحَلِيبِ، حَتَّى عَمَلِ الْمَشْرُوبَاتِ لَيْسَ مِنَ اخْتِصَاصَاتِ الْخَادِمِ، حِيْنَ عَادَتِ الْخَادِمُ حَامِلَةً كَوْبَ الْقَهْوَةِ رَأَتْهَا قَدْ أَخَذَتْ قِطْعَةَ قِمَاشٍ مَبْلُولَةً وَبَدَأَتْ تَمْسَحُ الأَثَاثَ، لَمْ تَعْتَرِضِ الْخَادِمُ وَضَعَتِ الْكَوْبَ وَأَكْمَلَتْ كَنْسَ الأَرْضِيَّةِ. بَعْدَ التَّنْظِيفِ فَتَحَتْ أَبْوَابَ الْبَيْتِ الدَّاخِلِيَّةَ وَنَوَافِذَهُ، لَمْ تَعْتَرِضِ الْخَادِمُ أَيْضًا وَهِيَ تَرَى اصْفِرَارَ الْجَوِّ يَهْدُرُ مَجْهُودَ التَّنْظِيفِ.

أَمْضَتْ نَهَارَ الْيَوْمِ فِي الدَّوْرِ الأَرْضِيِّ قَرَأَتِ الصُّحُفَ وَتَنَاوَلَتْ غَدَاءَهَا، فَتَحَتِ التِّلِفِزْيُونَ عَلَى مَسْتَوَى عَالٍ مِنَ الصَّوْتِ وَفِي

مُرُورِهَا بِجِهَازِ التَّحَكُّمِ عَلَى الْقَنَوَاتِ تَتَهَرَّبُ مِنْ قَنَوَاتِ الأَطْفَالِ؛ كَيَّةُ ذَنْبٍ تَلْسَعُهَا.

أَصَرَّتْ عَلَى تَمْرِيرِ لَيْلِ الْيَوْمِ كَذَلِكَ فِي الدَّوْرِ الأَرْضِيِّ، فِي التَّاسِعَةِ لَيْلاً دَخَلَتِ الْمَكْتَبَ الإِضَافِيَّ فِي الدَّوْرِ الأَرْضِيِّ الْمُجَهَّزَ بالْحَاسِبِ الآلِيِّ وَأَرْسَلَتْ لأُخْتِهَا مِنَ الْهَاتِفِ الْمُتَنَقِّلِ رِسَالَةً قَصِيرَةً تَطْلُبُ مِنْهَا الدُّخُولَ إِلَى رُكْنِ التَّحَادُثِ بالْمُرَاسَلَةِ عَلَى شَبَكَةِ الْمَعْلُومَاتِ لِتَتَسَامَرَا؛ وَهِيَ الَّتِي قَبْلَ ذَلِكَ تَتَضَايَقُ مِنْ شَكَاوَى أُخْتِهَا من حَمَاتِهَا وأَخَوَاتِ زَوْجِهَا، وخُصُومَاتِهِنَّ الْمُتَجَدِّدَةِ الَّتِي لا تَنْقَضِي، الْيَوْمَ فَقَطْ شَعَرَتْ بِأَنَّهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَى سَمَاعِ صَوْتِ كَائِنٍ حَيٍّ؛ الثَّرْثَرَةُ مُفِيدَةٌ أَحْيَانًا فِي تَبْدِيدِ الْوَقْتِ وَإِنْ عَلَى حِسَابِ انْتِهَاكِ سِيَرِ الآخَرِيْنَ. فِي حَدِيثِهَا مَعَ أُخْتِهَا أَخَذَتْ دَوْرَ الْمُشَجِّعِ لِجَمِيعِ الانْتِقَادَاتِ الصَّادِرَةِ مِنْ أُخْتِهَا لِعَائِلَةِ زَوْجِهَا، رَأَتْ فِي تَحْرِيضِهَا مَزِيدًا مِنْ سَرْدِ الْوَقَائِعِ وَالْقَصَصِ، وَفِي السَّابِقِ كَانَتْ تَتَعَفَّفُ عَنِ التَّعْلِيقِ......

- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ خَافِتَةٍ -

قَامَتْ فَزِعَةً عَلَى صَوْتٍ زَاعِقٍ يَسْتَنْجِدُ "مَامَا... مَامَا" قَادِمًا مِنَ الطَّابِقِ الأَوَّلِ؛ تَرْكُضُ هَلِعَةً مِنَ الْمَكْتَبِ باتِّجَاهِ الدَّرَجِ، تَوَقَّفَتْ أَمَامَ الدَّرَجِ وَالصَّيْحَاتُ الْمُسْتَغِيثَةُ مَازَالَتْ تَتَوَالَى، شَابٌّ طَوِيلٌ فِي سِنِّ الخَامِسَةِ وَالْعِشْرِيْنَ يَلْبَسُ البُرْنُسَ حَاسِرًا شَعْرَهُ يَقِفُ فِي مُنْتَصَفِ الدَّرَجِ، تَبَادَلا النَّظَرَاتِ اخْتَلَطَتْ مَشَاعِرُهَا عِنْدَ مَرْآهُ مَا بَيْنَ الرُّعْبِ

الشَّدِيدِ وَالْحَنَانِ الدَّافِقِ؛ الشُّعُورُ الْمُلْتَبِسُ بَيْنَ الْخَوْفِ الْجَلِيِّ وَالْحُبِّ الخَفِيِّ جَمَّدَهَا فِي مَكَانِهَا، عَاوَدَ بُكَاءٌ جُلاجِلٌ فَأَسْرَعَتْ فِي الصُّعُودِ مُتَعَدِّيَةً الشَّابَّ الْوَاقِفَ وَسَطَ الدَّرَجِ. دَخَلَتْ غُرْفَةَ طِفْلِهَا؛ الأَنْوَارُ مُطْفَأَةٌ مُكْتَفِيَةً الْغُرْفَةُ بالإِنَارَةِ الْعَابِرَةِ مِنْ سُوْرِ الْمَنْزِلِ وَالْحَدِيقَةِ، يَجْلِسُ مُنكَمِشًا عَلَى الْكُرْسِيِّ وَيَبْكِي، قَعَدَتْ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ مَسَحَتْ دُمُوعَهُ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ سَبَبِ بِكَائِهِ وَطَلَبِ الْغَوْثِ، قَالَ لَهَا: " شَابٌّ كَانَ يَقِفُ هُنْا أَخْبَرَنِي بِأَنِّي سَأَمُوتُ، وَرَدَدْتُ عَلَيْهِ: أَنِّي لَنْ أَمُوتَ، لَكِنَّهُ أَصَرَّ وَأَكَّدَ أَنِّي سَأَمُوتُ، وَصَرَخْتُ فِيْهِ وَقُلْتُ: لا، لَنْ أَمُوتَ، وَأَخَذَ يُرَدِّدُ: بَلْ سَتَمُوتُ بِدَلِيلِ أَنَّكَ أَنْتَ أَنَا لَوْ أَنَّكَ سَتَعِيشُ عِشْرِيْنَ سَنَةً؛ لَكِنْ أُبْلِغْتُ أَنْ لا حَاجَةَ إِلَيَّ لأَنَّ الطِّفْلَ الَّذِي سَيَصِيرُنِي سَيَمُوتُ".....



- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ سَاطِعَةٍ -

دَخَلَتِ الْخَادِمُ وَأَضَاءَتِ الأَنْوَارَ، فَنَهَضَتْ مِنْ جَلْسَتِهَا، أَخْبَرَتْهَا الْخَادِمُ أَنَّ أُخْتَهَا اتَّصَلَتْ عَبْرَ الْهَاتِفِ قَلِقَةً عَلَيْهَا لأَنَّ الْحَدِيثَ انْقَطَعَ فَجْأَةً بَيْنَهُمَا، قَالَتْ وَهِيَ خَارِجَةٌ: سَأَتَّصِلُ بِهَا حَالاً. أَغْلَقَتِ الْخَادِمُ النَّافِذَةَ الْكَبِيرَةَ وَأَطْفَأَتِ الأَنْوَارَ وخَرَجَتْ خَلْفَهَا.

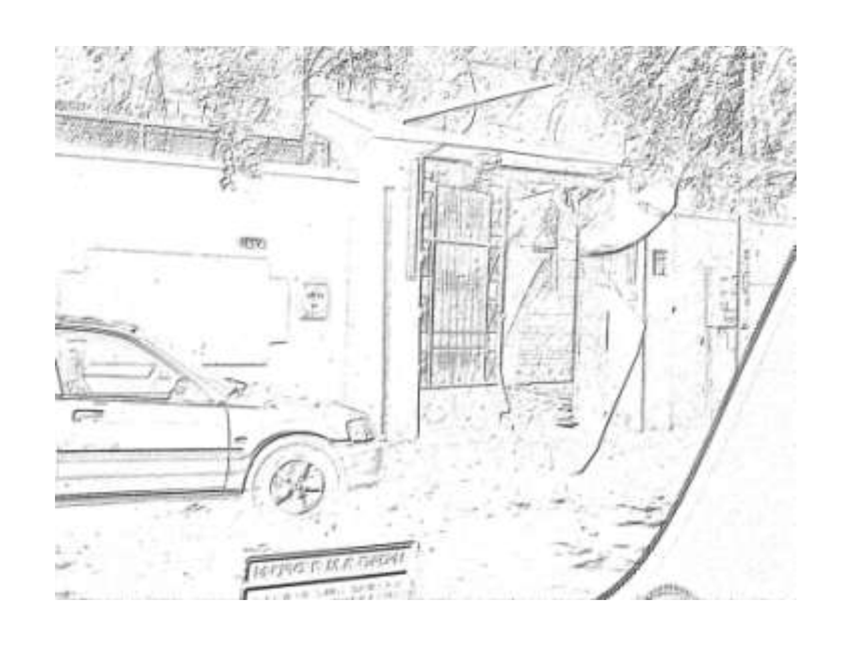
طَمْأَنَتْ أُخْتَهَا وَقَدَّمَتْ لَهَا الاعْتِذَارَ وَادَّعَتْ تَذكُّرَ مَاءٍ يَغْلِي عَلَى النَّارِ. دَخَلَتْ سَرِيرَهَا وَكَأَنَّ قَضَاءَ سَاعَاتِ الْيَوْمِ فِي الدَّوْرِ الأَرْضِيِّ لَمْ يَأْتِ بِفَائِدَةٍ، مَنَّتْ نَفْسَهَا بِصَبَاحٍ تَذْهَبُ فِيْهِ إِلَى الْعَمَلِ؛ يَكْنُسُ الانْهِمَاكُ فِيْهِ والإِرْهَاقُ ذِكْرَيَاتٍ وَمشَاهِدَ أَلِيمَةً.

أَقْلَقَ نَوْمَها عَطَشٌ حَادٌّ، دِفْءُ مَاءِ الْقِنِّينَةِ عَلَى المِنْضَدَةِ لَمْ يَرْوِ عَطَشَهَا، تَخَلَّتْ عَنْ سَرِيرِهَا وَنَزَلَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ لِتَمْلأَ الْقِنِّينَةَ بالْمَاءِ الْبَارِدِ، الطَّبَقُ الْغَارِقُ بأَنْوَاعِ الْحَلاوَى الشَّرْقِيَّةِ أَوَّلُ شَيْءٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنَاهَا عِنْدَ فَتْحِ الثَّلاجَةِ تَأَمَّلَتْهُ تَذَكَّرَتِ انْتِظَارَ طِفْلِهَا لِعَمِّهِ؛ نِهَايَةَ كُلِّ أُسْبُوعٍ يَمُرُّ ويَضَعُ طَبَقَ الْحَلاوَى عِنْدَ الْبَابِ ويَضْرِبُ الْجَرَسَ وَيَخْتَفِي، لَمْ يَقْطَعِ الْعَادَةَ كَيْ لا يَجْرَحَ مَشَاعِرَهَا، سَنَةً كَامِلَةً وَأَطْبَاقُ الْحَلاوَى تَتَرَاكَمُ فِي الثَّلاجَةِ لا أَحَدَ يَأْكُلُهَا، تَتَيَبَّسُ وَتُرْمَى، سَحَبَتْهُ ووَضَعَتْهُ عَلَى الأَرْضِ وَقَعَدَتْ كَمَا يَفْعَلُ طِفْلُهَا الَّذِي لا يَقْدِرُ لِثِقْلِهِ عَلَى الإِمْسَاكِ بِهِ طَوِيلاً؛ يَضَعُهُ عَلَى الأَرْضِ وَيَبْدَأُ الأَكْلَ. أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنَ الْحَلْوَى وَقَبْلَ أَنْ تَضَعَهَا فِي فَمِهَا......

- مَنْظَرٌ فِي إِضَاءَةٍ خَافِتَةٍ -

شَعَرَتْ بِهوَاءٍ شَدِيدٍ يَفْتَحُ بَابَ الْمَنْزِلِ الدَّاخِلِيَّ الْمَقْفُولَ مُسْبَقًا بالْمِفْتَاحِ وَضَعَتْ قِطْعَةَ الْحَلْوَى وَنَهَضَتْ وَاقِفَةً، تَقَدَّمَتْ لِتُغْلِقَ الْبَابَ -كَانَتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةَ قَبْلَ الْفَجْرِ- فَشَاهَدَتْ أَنَّ الْبَابَ الْخَارِجِيَّ الْمُطِلَّ عَلَى الشَّارِعِ أَيْضًا مَفْتُوحٌ، وَثَمَّةَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ فِي الشَّارِعِ يَتَحَدَّثَانِ بِخُصُوصِ الْبَيْتِ كَأَصْحَابِهِ الْجُدَدِ وَأَنَّ مَسَاحَتَهُ تَصْلُحُ لِلَهْوِ طِفْلِهِمَا الَّذِي لَمَحَتْهُ يُمْسِكُ بِيَدِ أُمِّهِ؛ طِفْلٌ سَمِينٌ بَشَرَتُهُ صَافِيَةٌ وَعَيْنَاهُ بَرَّاقَتَانِ وَخَدَّاهُ مُتَوَرِّدَانِ، نَادَتْ عَلَى الْخَادِمِ وَزَوْجِهَا السَّائِقِ فِي الْحُجْرَةِ الْمُلْحَقَةِ بالْفِنَاءِ، لا أَحَدَ يَرُدُّ، كَرَّرَتِ النِّدَاءَ، وَأَخِيرًا اتَّجَهَتْ إِلَى حُجْرَتِهِمَا وَجَدَتْهَا فَارِغَةً تَمَامًا لا أَثَرَ لِبَقَايَا بَشَرٍ قَدْ عَاشَ فِيْهَا؛ الْبَلاطُ مَلِيءٌ بالتُّرَابِ، وَالْجُدْرَانُ مُغْبَرَّةٌ.



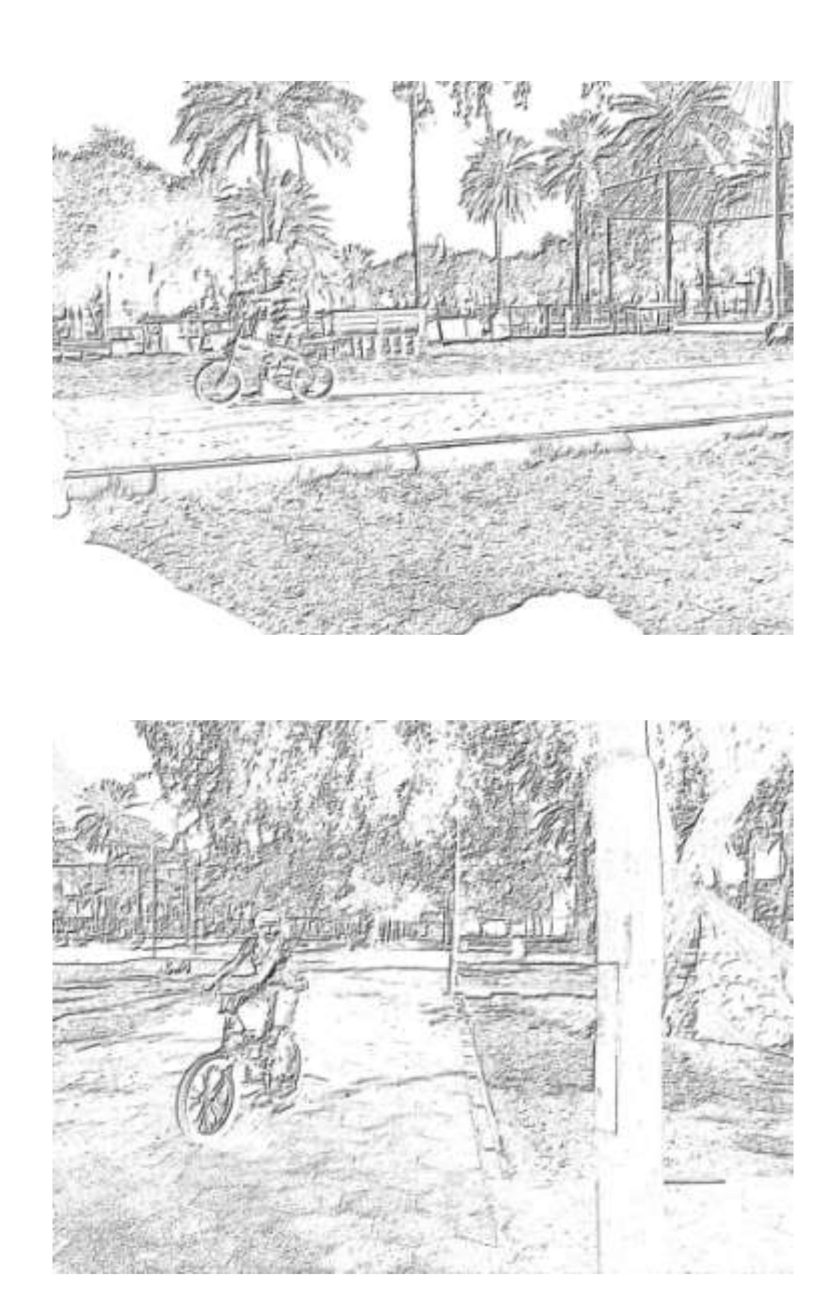


- مَنْظَرٌ بيْنَ الإِضَاءتَيْنِ الْخَافِتَةِ وَالسَّاطِعَةِ -

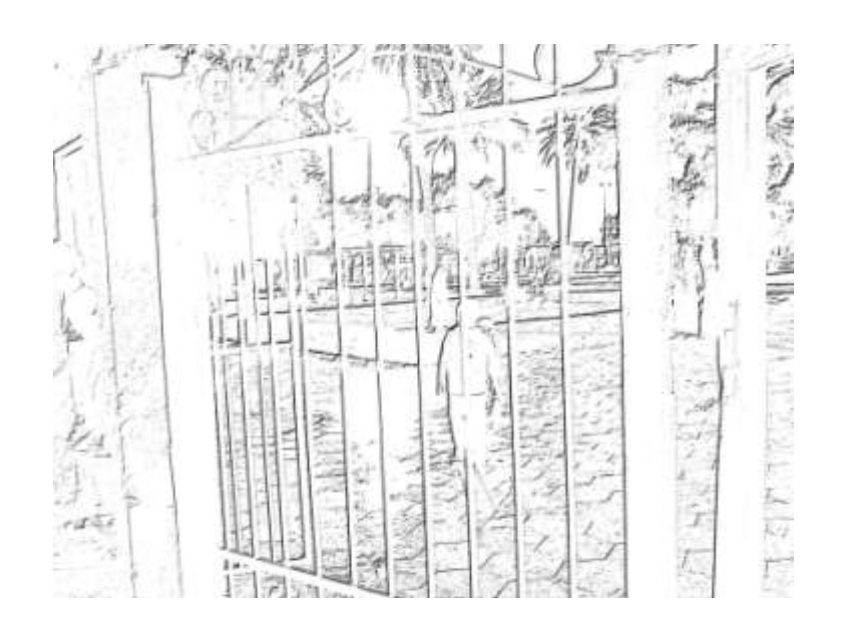
سَافَرَ زَوْجِي مُنْذُ خَمْسِ سَنَوَاتٍ وَتَرَكَنِي وَحِيدَةً مَعَ رَضِيعٍ فِي شَهْرِهِ الأَوَّلِ؛ الْخَادِمُ وَزَوْجُهَا السَّائِقُ لَمْ يَحْضُرَا لِلعَمَلِ فِي الْمَنْزِلِ إلاَّ حِيْنَ صِرْتُ بِمُفْرَدِي مُنْذُ سَنَةٍ كَامِلَةٍ. كُنْتُ مُوَظَّفَةً ومَازِلْتُ؛ دَوَامِي يَبْدَأُ فِي الثَّامِنَةِ صَباحًا وَيَنْتَهِي عِنْدَ الثَّانيَةِ ظُهْرًا؛ أَخْرُجُ مِنَ الْمَنْزِلِ فِي السَّابِعَةِ صَبَاحًا قَبْلَ الْمَوْعِدِ بِسَاعَةٍ وَأَعُودُ فِي الثَّالِثَةِ ظُهْرًا بَعْدَ الْمَوْعِدِ بِسَاعَةٍ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ الْجُلُوسَ وَحِيدًا، تَصَوَّرْتُ أَنَّ الْعَبَثَ يُهَدِّدُ حَيَاتَهُ وَيُعَرِّضُهُ لِلخَطَرِ؛ النَّارَ.. الأَشْيَاءَ الْحَادَّةَ.. الأَشْيَاءَ الثَّقِيلَةَ، كُلُّ مَا يُحِيطُ بالطِّفْلِ الصَّغِيرِ الْمَتْرُوكِ دُوْنَ حِرَاسَةٍ وَمُرَاقَبَةٍ

يُصِيبُهُ بالضَّرَرِ؛ أُعْطِيهِ الْحُبُوبَ الْمُنَوِّمَةَ وَأَحْيَانًا الأَدْوِيَةَ الَّتِي فِيهَا نِسْبَةُ مُخَدِّرٍ، يَنْتَهِي مَفْعُولُ الْمُنَوِّمِ عِنْدَ قُدُومِي إِلَى الْبَيْتِ، وَفِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِذَا عُدْتُ مُتْعَبَةً مَهْدُودَةَ الْقُوَى، لَيْسَ لِي طَاقَةُ الأَخْذِ وَالْعَطَاءِ والاعْتِنَاءِ بِهِ، أُعْطِيهِ جُرْعَةً ثَانِيَةً حَتَّى أَسْتَطِيعَ أَنْ أَرْتَاحَ دُوْنَ قَلَقٍ عَلَى تَرْكِهِ وَحِيدًا، يُفِيقُ مِنَ الْمُنَوِّمِ الثَّانِي بَعْدَ أَنْ يَنْعَمَ الْعَالَمُ الْخَارِجِيُّ بالْهُدُوءِ وَالسَّكِينَةِ.

بَدَأْتُ إِعْطَاءَهُ الأَدْوِيَةَ عِنْدَ بُلُوغِهِ السَّنَةَ الأَوْلَى إِذْ صَارَ يَتَحَرَّكُ ويَتَنَقَّلُ خَارِجَ غُرْفَةِ نَوْمِهِ، صَحِيحٌ! فِي الإِجَازَاتِ وَالْعُطَلِ الأُسْبُوعِيَّةِ لا أُعْطِيهِ الْمُنَوِّمَ إلاَّ فِي حَالاتِ انْشِغَالِي الشَّدِيدِ، اسْتَمَرَّ فِي أَخْذِ الأَدْوِيَةِ مِنْ عُمْرِ السَّنَةِ الأُوْلَى حَتَّى بَلَغَ الْخَامِسَةَ؛ أَرْبَعُ سَنَوَاتٍ مُتَوَاصِلَةٍ، رَتَّبْتُ قَرَارَ إِيْقَافِ الْحُبُوبِ عِنْدَ بُلُوغِهِ السَّادِسَةَ وَالْتِحَاقِهِ بِالْمَدْرَسَةِ. تُوفِّي مُنْذُ سَنَةٍ؛ صَارَ ضَعِيفًا، لا يَأْكُلُ؛ شَهِيَّتُهُ مَسْدُودَةٌ، وَلُوْنُهُ حَائِلٌ، ومَحْجِرَا عَيْنَيْهِ مُتَّسِعَانِ مُحَاطَانِ بِهَالَتَيْنِ غَامِقَتَيْنِ، وعِظَامُهُ لَيِّنَةٌ هَشَّةٌ، وَجِلْدُهُ جَافٌّ لَيْس فِيهِ رَوْنَقٌ، لا يَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةَ وَاللِّعْبَ وَالرَّكْضَ، لا يَرَى الشَّمْسَ، أَحْضَرْتُ لَهُ العَامَ الْمَاضِيَ – لأَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الْخَامِسَةَ وبَدَأَ يُمَيِّزُ الْكَائِنَاتِ– سِتَّةَ كَتَاكِيْتَ؛ يَسْعَدُ بِرُؤْيَتِهَا وَهِيَ تَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ سَرِيعَةً، لَكِنَّهَا مِثْلُ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَنَامُ اللَّيْلَ وَتَصْحُو النَّهَارَ؛ فِي النَّهَارِ تَتَحَرَّكُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ؛ لَمْ يَفْرَحْ بِهَا الْفَرَحَ الْمُتَوَاصِلَ كَمْ مَرَّةٍ تَمَنَّيْتُ أَنْ يَرَى شَقَاوَتَهَا فِي النَّهَارِ! لَكِنْ لا بُدَّ مِنَ الْمُنَوِّمِ لأَخْرُجَ وَأَنَا مُطْمَئِنَّةٌ.



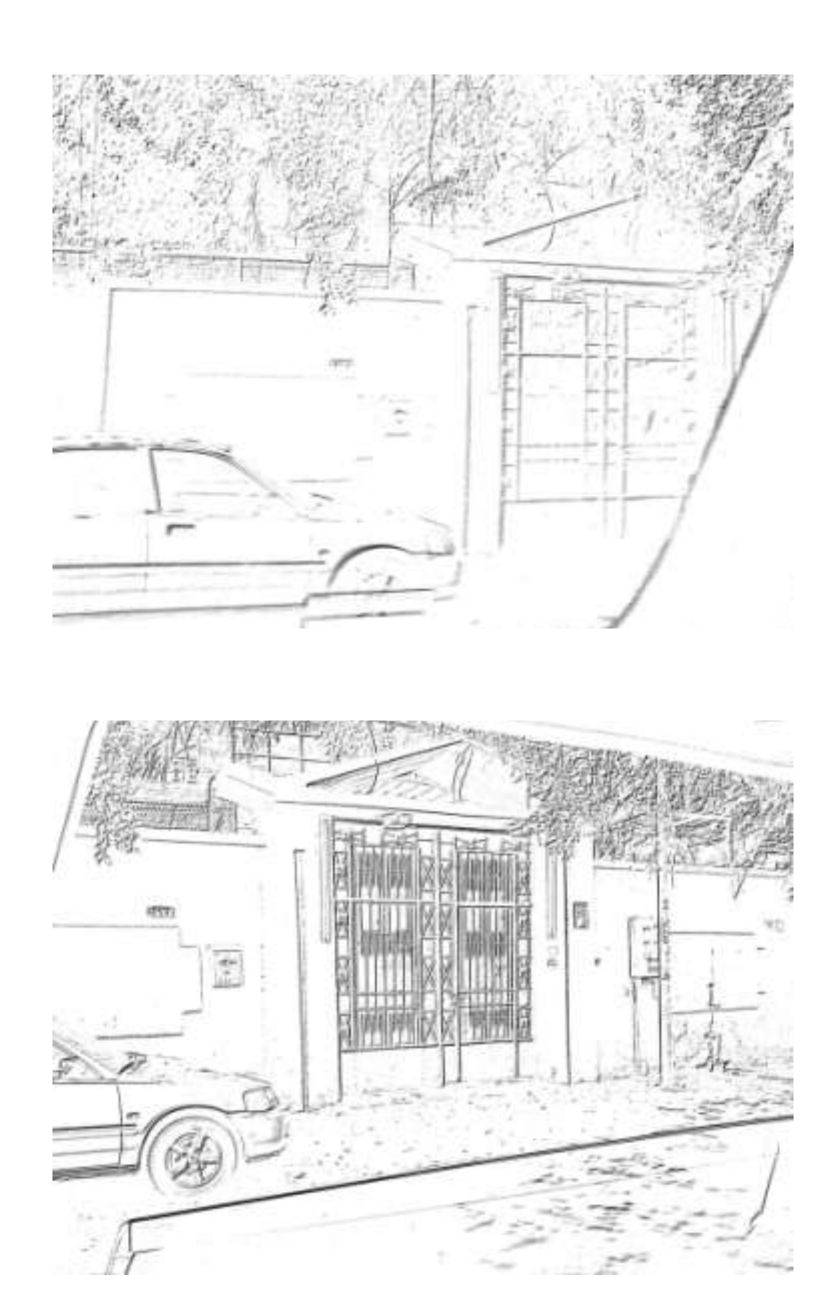


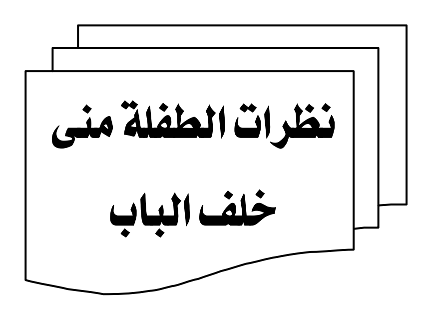


قَبْلَ سَنَةٍ كُلِّفْتُ بِعَمَلٍ إِضَافِيٍّ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ قِبَلِ الْعَمَلِ مُدَّتُهُ أُسْبُوعًا يُقَامُ خِلالَهُ مُؤْتَمَرٌ؛ فَاُضطُرِرْتُ فِي هَذَا الأُسْبُوعِ إِلَى الْعَوْدَةِ سَرِيعًا لِلْبَيْتِ بَعْدَ الْفَتْرَةِ الأُوْلَى أُعْطِيهِ جُرْعَةً ثَانِيَةً مِنَ الْمُنَوِّمِ لأَعُودَ إِلَى الْعَمَلِ، سَبْعَةُ أَيَّامٍ أَرْجِعُ فِيْهَا مِنَ الْفَتْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ لَيْلاً، فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الإِضَافِيِّ أُقِيمَ حَفْلٌ خِتَامِيٌّ لِلْمُؤْتَمَرِ عُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ السَّاعَةَ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ لَيْلاً، عِنْدَمَا دَخَلْتُ الْمَنْزِلَ رَأَيْتُهُ مُظْلِمًا ظَلامًا لا يُشْبِهُ ظَلامَ أَيِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ، تَوَجَّهْتُ إِلَى غُرْفَةِ طِفْلِي، الْكَتَاكِيْتُ عَلَى غَيْرِ عَادَتِهَا مُسْتَيْقِظَةٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقِفُ عَلَى جَسَدِهِ تَنْقُرُ عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَأَنْفَهُ؛ تَمْرَحُ.. تَقُومُ بِطُقُوسِ وَدَاعٍ.. تُنَادِيهِ بِطَرِيقَتِهَا؟! لا أَدْرِي! الْمُهِمُّ أَنَّهَا شَعَرَتْ بِهِ

أَكْثَرَ مِنِي، مَنْظَرُهُ مُحْزِنٌ أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ بِحَجْمِهِ الْمُتَكَرْمِشِ كَأَنَّهُ ابنُ الثَّالِثَةِ وَلَيْسَ الْخَامِسَةَ؛ الْحُبُوبُ تُعِيقُ نُمُوَّهُ الطَّبِيعِيَّ، لُوْنُهُ أَزْرَقُ يَمِيلُ إِلَى الْكُحْلِيِّ، وَعَيْنَاهُ شِبْهُ مَفْتُوحَتَيْنِ بَيَاضُهُمَا زَحَفَ عَلَى الْقُزَحِيَّتَيْنِ وَأَخْفَى سَوَادَهُمَا إِلاَّ نُقَطًا يَسِيرَةً، مَسَحْتُ جَبْهَتَهُ وَنَادَيْتُهُ لِيَسْتَيْقِظَ وَيَتَنَاوَلَ الْعَشَاءَ، النَّوَافِذُ الَّتِي نَسِيْتُهَا مَفْتُوحَةً مُنْذُ الظُّهْرِ تَعْصِفُ بِي وَبِالْكَتَاكِيْتِ، نِدَاءَاتٌ زَاعِقَةٌ تَأْتِي مِنَ الأَبْوَابِ وَالنَّوَافِذِ، صُرَاخٌ مَصْحُوبٌ بِعَصْفِ رِيْحٍ يَخْرُجُ مِنِي وَمِنَ الْعَالَمِ أَجْمَعَ؛ رِيْحٌ مَعَ شِدَّتِهَا عَجَزَتْ –كَمَا عَجَزَ الظَّلامُ وَالأَنْوَارُ وَالسُّكُونُ وَالضَّجِيجُ وَكُلُّ الْمُتَنَاقِضَاتِ– أَنْ تُوقِظَ طِفْلِي الْمُتَجَمِّدَ. أنْهَيْتُ حَيَاتَهُ، قَضَيْتُ عَلَيْهِ، ذَبَحْتُهُ وَلَمْ أُحْسِنِ الذِّبْحَةَ لأَنِّي آلَمْتُهُ طَوِيلاً، وَأَخِيرًا قَدَّمْتُهُ وَجْبَةً جَافَّةً لِنَمْلِ الأَرْضِ.

أَضَاءَ الطَّبِيبُ نَجَفَةَ الْعِيَادَةِ، وَأَغْلَقَ التَّسْجِيلَ، وَمَدَّ يَدَهُ وَأَطْفَأَ ضَوْءَ الأَبَاجُورَةِ الْمُجَاوِرَةِ الكَنَبَةَ السَّرِيرِيَّةَ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَهْدَأَ. نَاوَلَهَا مِنْدِيلاً لِتَمْسَحَ دُمُوعَهَا، وَكَأْسَ مَاءٍ لِتُوقِفَ شَهَقَاتِ النَّحِيبِ.





تتهادى الطرقاتُ عَبْرَ أزيزِ المكيف، تخترق مخدة القطن وتتسرّب إلى أحلامي، أبواق تنفخ في بيداء تركها الليل منحةً للشمس نافخوها حافين بي يدورون بأقدام تحتكُّ بالأرضِ ترسم دائرةً تلتهب تحتهم كقرص الشمس، تتمايل أيديهم راقصة في الهواء، مركز الدائرة شجرة شوكية مربوطة أنا إليها، جحافل رعاة البقر هابّة في اتجاههم تلتحم برؤوس تهتز بأكاليل الريش، ريش الرؤوس ينتقل إلى الخصور، والشجرة الشوكية تبدلتْ نخلة جوز الهند، والفلاة غابة، والأبواق طبولاً تُقرع، وجحافل الخيل سيارات (جيب) راكبوها هم رعاة البقر أنفسهم.

أفتح عيني، ضوء شفيف، السادسة مساءً أو صباحًا؛ لا أدري، طنينٌ في رأسي، تتوقف الطرقات كالمخدرة أخذتني غفوة إلى أعماق نوم ساحر، تعود الطرقات تتوالى، صحوتُ على صرخة باسمي، أعطاني قفص دجاجات وغادر، لم نتكلم تمَّ التسليم

والاستلام باتفاق مسبق، وضعتُ القفص على الطاولة ودخلتُ الحمام الملحق بالغرفة، جاءني طَرقٌ وأنا في الحمام ثم غادر قبل خروجي، فتحتُ باب الغرفة بعد الانتهاء من الاغتسال تلفَّتُّ في السطح لا أحد، بسرعة أغلقت الباب بعد أخذ قفص الأرانب الموضوع قُرب الباب.

انفجار الشمس هذا اليوم لا يُحتمل، ديكٌ في قفص الدجاجات لم أطلبه ربما شك فيه لصغر سنه، هناك قفص حمامات على الأرض لا أدري متى جيء به تستدير وتهدل داخله، نقّة عالية اختلعتْ قلبي فزعًا صدرتْ من دجاجة تبيض.

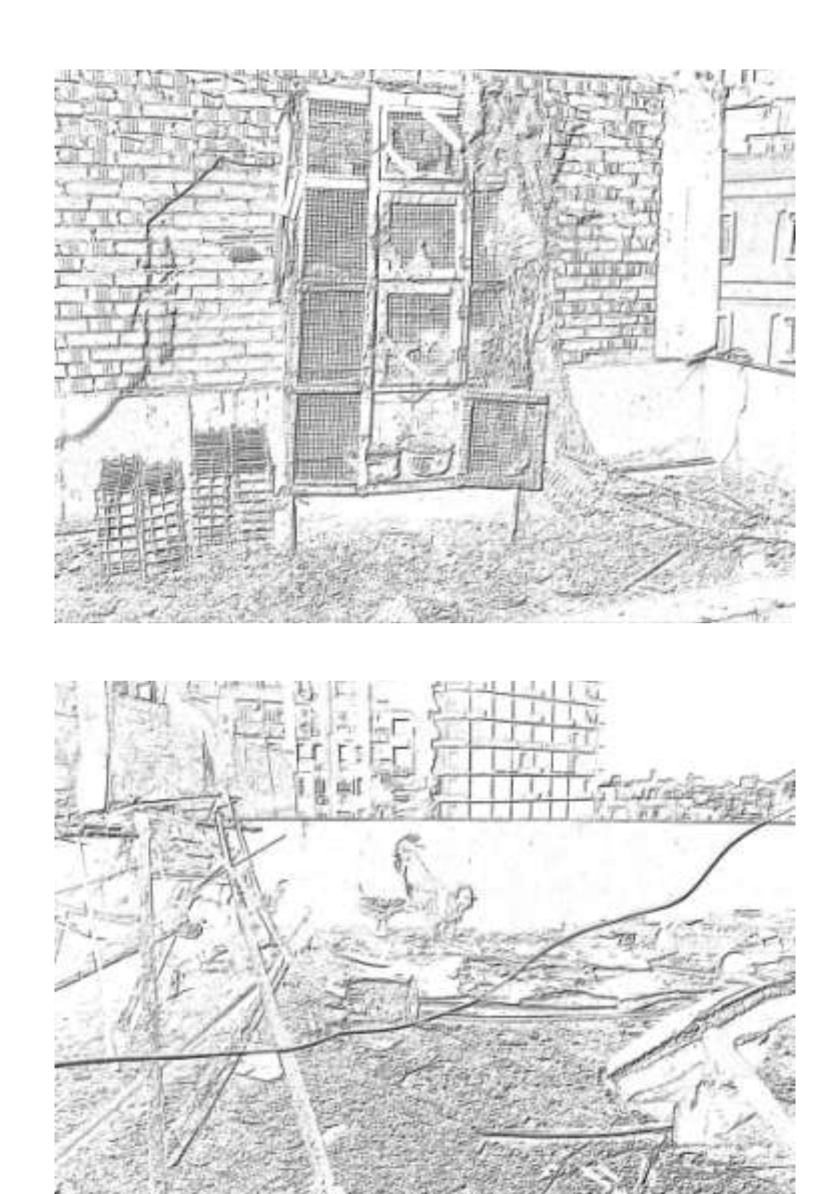
باب الغرفة يئن وينفتح أثناء قضمي كعكة آكلها بقرف ورعب تمثلت أمامي بائعة السميط وهي تدور بزنبيل السميط داخل دورة المياه، آخر مستحيل أقوم به الأكل داخل دورات المياه، كيف وصلت السميطة إلى يدي لا طعم لها، رائحة دفرة تنفذ منها ومن فتحة الباب، الشمس اختفت، السطح مليء بالبط والإوز علون الشتلات الموزعة على حواف سور السطح كتاكيت ضاجة بالوصوصة أطأها بقدمي فتلتزق بالأرض ثم ترتفع أرواحها مختلطة بالهواء محتفظة بدمائها داخل أجسادها، لم أهتم باختفاء الدكة المنصوبة تحت العريش المواجهة لغرفتي والمقام مكانها خرطوم مياه موصول بصنبور، وطشوت فيها سواطير وحبال وسكاكين وخرق بالية، أخذت منها ساطوراً وأخرجت أقفاص الدجاج والحمام

والأرانب بدأت بهبد الأقفاص على من فيها بالساطور وملاحقة الهارب منها، تغافلني الأرنب القط وعالجته بضربة فصلت جسده نصفين طوليين، جاءتني خطوات الطفلة (منى) تصعد الدرج، ضحكت لمرأى خثرات الدماء على البلاط وقطع اللحم المتناثرة والمتداخلة بخشب الأقفاص، صرتُ أنا وإياها نرمي الأعضاء المقطعة في طشت سحبته إلى منتصف السطح، تضحك كلما علقت الدماء في يديها، أفزعتني صرختها المفاجئة: قتلتِ قطك المدلل؟ رددتُ غير آسفة: اختلط علي أمره حسبته أرنبًا.





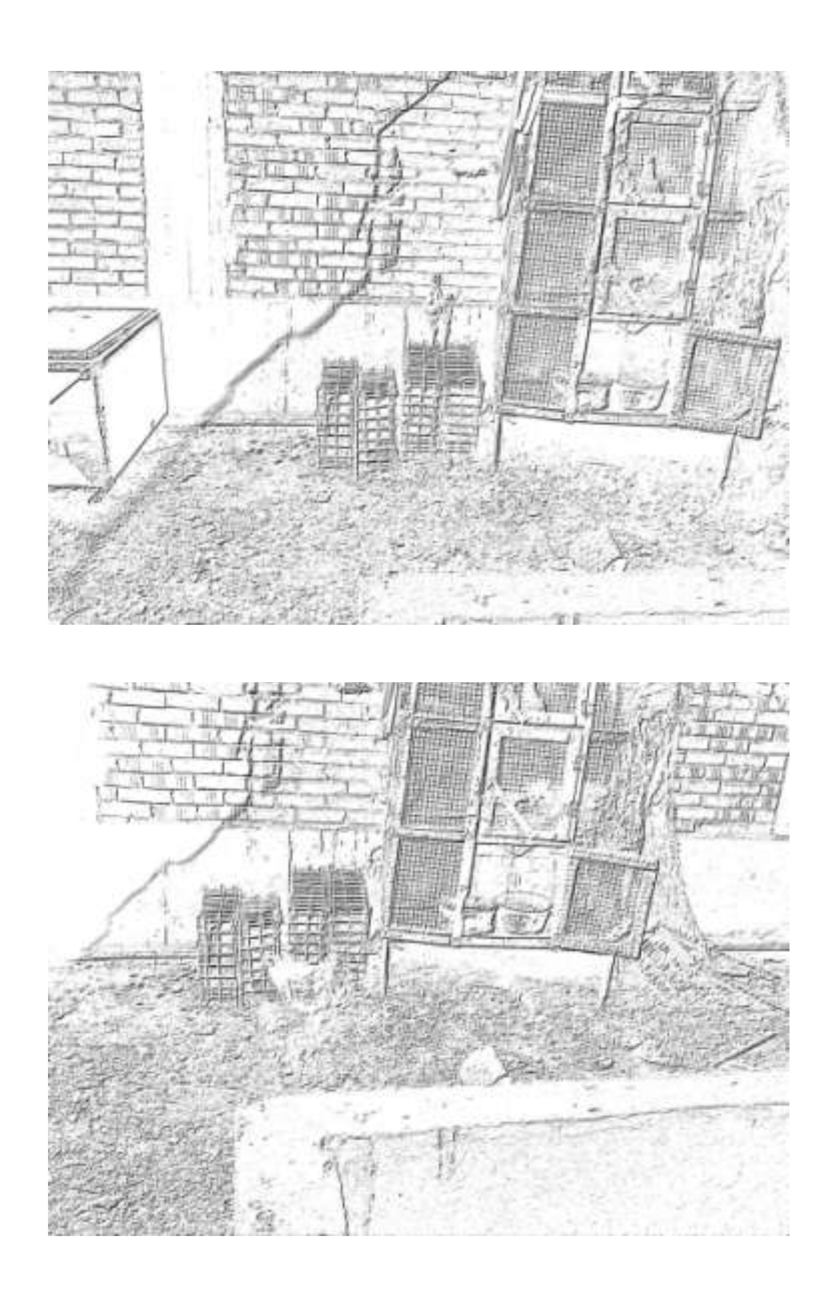
صعدتْ أمها فجأة السطح، مسكتني من كتفي وضغطتهما: هاه أليست الدواجن مسلية؟! سآتيك بعشرات الأقفاص يوميًا تتسلين بها.. (غرفتي ملأى، عمياء ألا ترى!)...



دخلنا الغرفة في كل زاوية منها دجاجة تنقر وأرنب يحفر وحمامة تستدير، نظرتْ إلى ملبسي: بدليه!! كله دماء.. (هي لا تدري أن ملابسي هناك بعيدة وليس لي سواه!)...



نادت الطفلة إلى الغرفة وطلبت أن تجلب جلبابًا، خرجت الطفلة ووقفت على سور السطح نادت، جاءها رميًا جلباب من أسفل، شرحته الأم بيديها من جانب واحد وقذفته في وجهي: لفيه!! وهاتِ لباسك الأحمر أغسله.





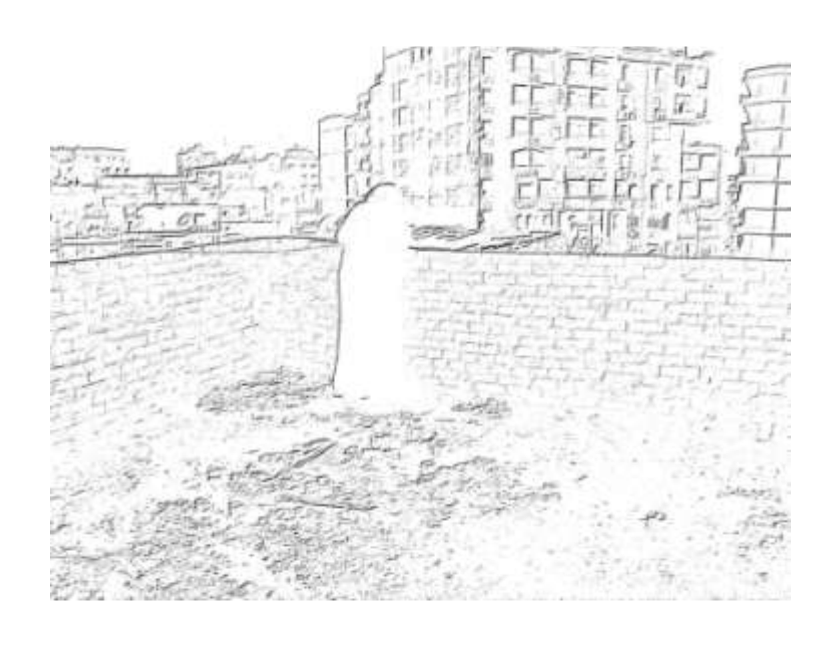
لففتُ الجلباب وكان بالإمكان لبسه كاملاً دون شرح، ترفع أكمامه وأطرافه الطويلة، لكن لم أناقش التفتُ إلى السميط على الطاولة:

خذيه!! يشعرني بالقرف اشتريته البارحة من بائعة في دورة مياه، هات خبزاً آخر!!

رفعته إلى أنفها: جميل فيه رائحة الموت التي تحبين!!

فتت السميط للدواجن في الغرفة، ثم فتحت باب الدولاب وأخرجت قفة، فلت الصرة التي داخلها وبدأت تقذف بدوائر كعك كثيرة: روحا أمي وأبي، هنا في الغرفة تنامان معك.

(روحا أمك وأبيك في الكعك) أضحك وهي تسحبني إلى خارج الغرفة، ارتقينا طوبًا مصفوفًا محاذاة السور وأطللنا على حوش كبير، قالت: هنا يرقدان.





في ضبابية شاهدتُ كومة تراب تترفع متناثرة عن امرأة غبراء تشبه بائعة السميط في دورة المياه، تبادلت الإشارة بالأيدي مع المرأة الواقفة بجانبي، ثم قامت من تحت الكومة نافضة التراب تقدمت، قليلاً وظهرت من فتحة الدرج متجهة إلينا وكنا ما زلنا فوق الطوب، موجهة الكلام لي: إياك إياك تأكلي من الكعكات اللائي في القفة!!! (كيف وأنا أساسًا أقرف منها؟؟!!) تطلعت إلى الجلباب الملفوفة به ثم قلبته بيدها: جلباب زوجي، أعيدي خياطته!! (لم أشرحه كي أخيطه!!) ظهرت الطفلة وفي يدها إبرة وخيط تناولتهما المرأة الغبراء وجذبتني نحوها فلت الجلباب وعدلته وشرعت تخيط الجنب المقدود، كنت أتألم كلما شاهدت الإبرة تخرج من الطرف الثاني اشتد الألم في جانبي الأيسر، أدنيت رأسي آملة انتهائها،

رأيتها تخيط الجلباب على لحمي، أكملتْ غير مبالية بفزاتي المولولة وكانت إحداها متزامنة مع فتح عيني في عتمة الغرفة وطرقات متصاعدة تأتي من خارجها.

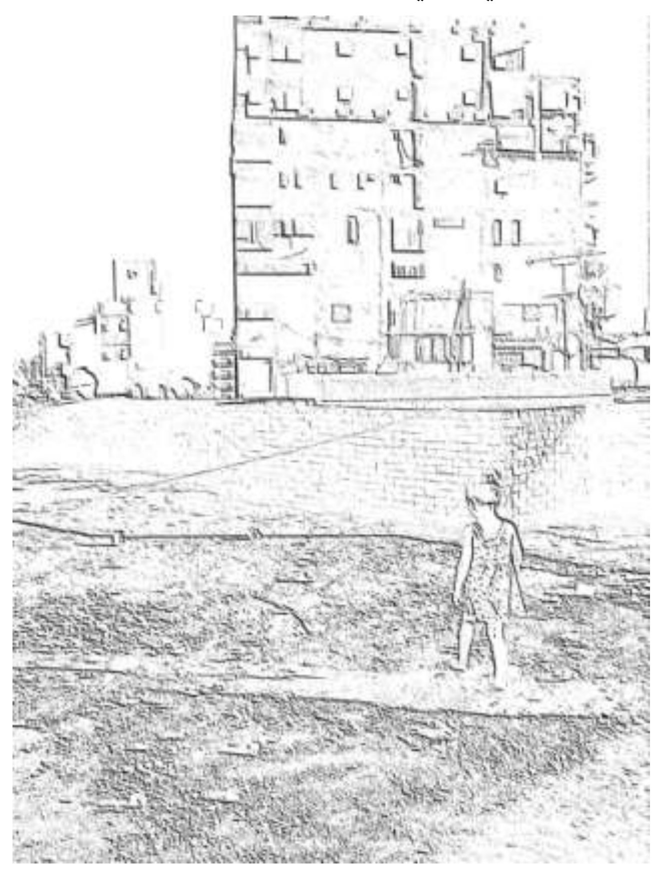




أزحتُ جهاز التحكم عن بعد المخترق عميقًا جنبي الأيسر، استقبلتني أنوار الصالة في طريقي إلى باب الشقة المرتجف من تتابع الطرقات، صاحب العمارة يزف بشارة تخليصي من نقنقة الدجاج وخربشة الأرانب وصفق أجنحة الحمام وبشاعة بطبطة

البط: اشتريتها كما أمرتني من البواب وزوجته وذبحتها.. خيرتهم سكنى السطح بالمجان أو الطيور!!

مال رأسي يمين صاحب العمارة، فرأيت البواب وزوجته وطفلتهما (منى) مصطفين في الممر قبالة الباب يرمقونني بنظرة المنتقم المحروم وأنا أعصر عيني من وطأة الألم الذي أحدثه جهاز التحكم عن بعد المنغرز في جنبي مدة نومة ما بعد الظهر.





دخل وقبل أن يضع يده على مفتاح الضوء، وقبل أن يخلع حذاءه عند باب الغرفة توجه وسحب الستارة، حسم الأمر دون نقاش (برد.. هواء.. طيف ما في البيت المجاور.. حتى الشمس الغاربة حمَّلها ذنبًا قبل أن تغيب) سرد كل المبررات، لم أظهر تذمرًا من إغلاق الستارة، حطَّ على طرف السرير وباستفهامات عن تصليح عطل في الجوال برَّر ليده أن تمتد وتتناول جوالي من فوق الطاولة لإجراء مقارنة..

– أبو خالد، هذا جارنا؟!

– لا، صاحب مكتب تصوير الأوراق.

– أيمن، من أيمن؟!

– مهندس الكمبيوتر.

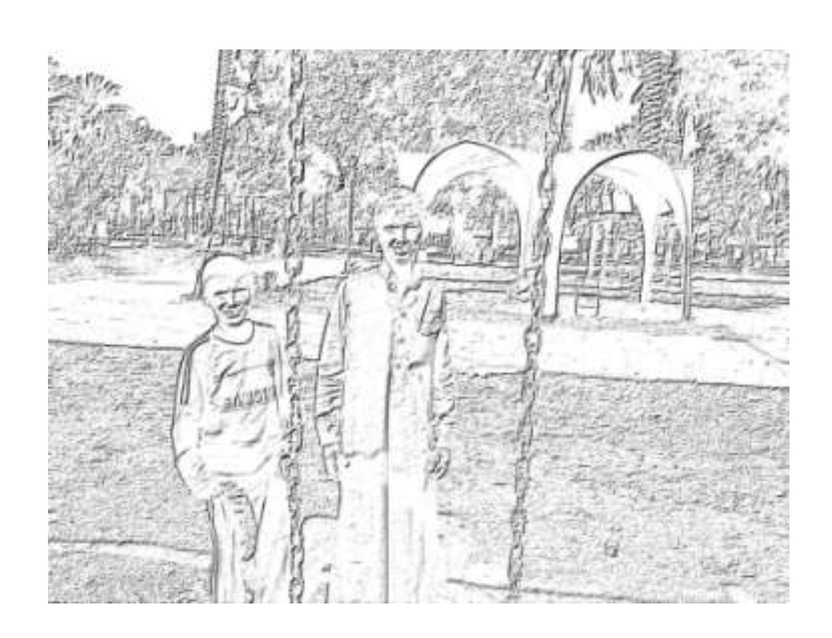
(من الألف إلى الياء متجاهلاً الأسماء المؤنثة)، ضغط رأس الجوال طويلاً وأخمده دون إذن، تحرك نحو معلاق الملابس (كنتُ الطالبة المميزة في الجامعة بلبس فانيلة رجالية نصف كم تحت

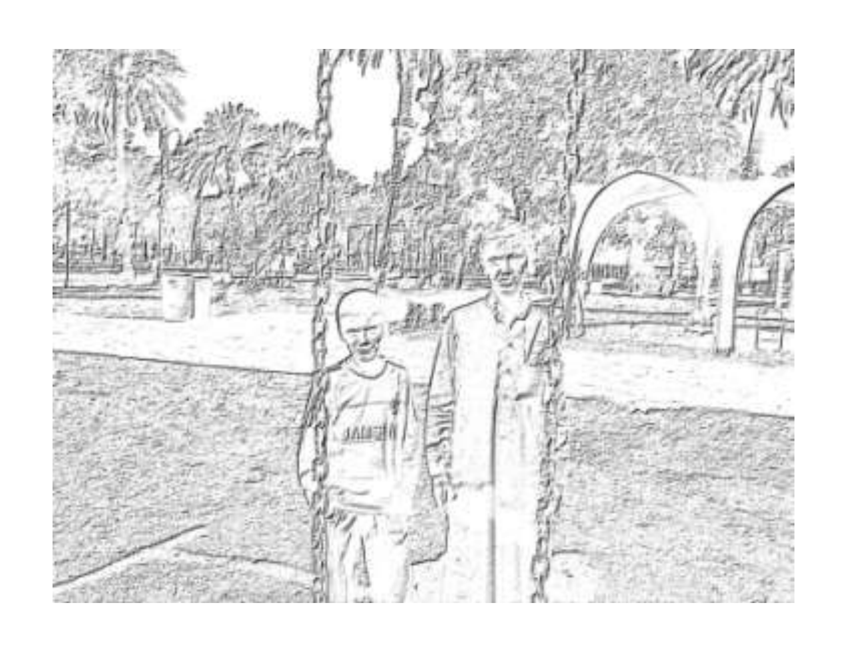
ملابسها، والمشهورة بلبس بنطال تحت تنورتها المفتوحة) الملابس الشفافة والمفتوحة لها عندي ضمانات لا يجهل هذا يعلمه جيدًا، لذلك ترك المعلاق وأخذ دفتر الملحوظات من على المكتب، يعرف مكان تدوين (كلمة مرور الكمبيوتر) خلف الغلاف الأول، نقر ملف الصور، فظهرت صورهم، الأصلع أقدمهم يحفظ تفاصيله، تعداه، أبو الشوارب المفتولة من السابقين أيضًا يتوقف عنده طويلاً، تشغله الشوارب، يشير إليها دائمًا ويهز رأسه تعجبًا، صاحب النظارتين لا يمل التعليق عليهما، ورمي سمكهما بالنكات، الوجوه معتادة، مرَّر الشريط، يظلل صورة مستجدة، لا أدري أيًّا من الأيقونات ضغط.. بعد فترة من النبش والتفتيش في الغرفة، أعطيته إشارة بالمغادرة.

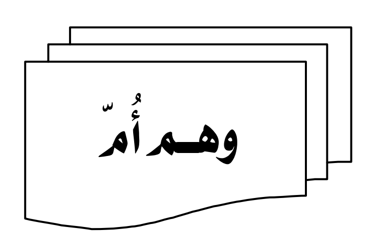


حركته بطيئة، يتلكأ في المشي يسأل عن أشياء معلومة وتافهة، وعند باب الغرفة يقوم بحركات ملاطفة، الوقت غير مناسب لها، يأتي صوته من الصالة لا يخطو إلا على سماع صوتي، أسمع خبط كفيه على خشب الدرج يكلمني يطمئن لقرب صوتي، يغادر صوته قليلاً ثم يعود جسدًا عند باب غرفتي:

- عمه.. عمه (يموّجها بلطف وحنان، وترجٍ شديد) آخر مرة والله آخر مرة.
- في السادسة الابتدائية وتخاف النزول منفردًا إلى الدور الأرضي، قلتها باستخفاف واستهانة وأنا أصحبه في النزول.

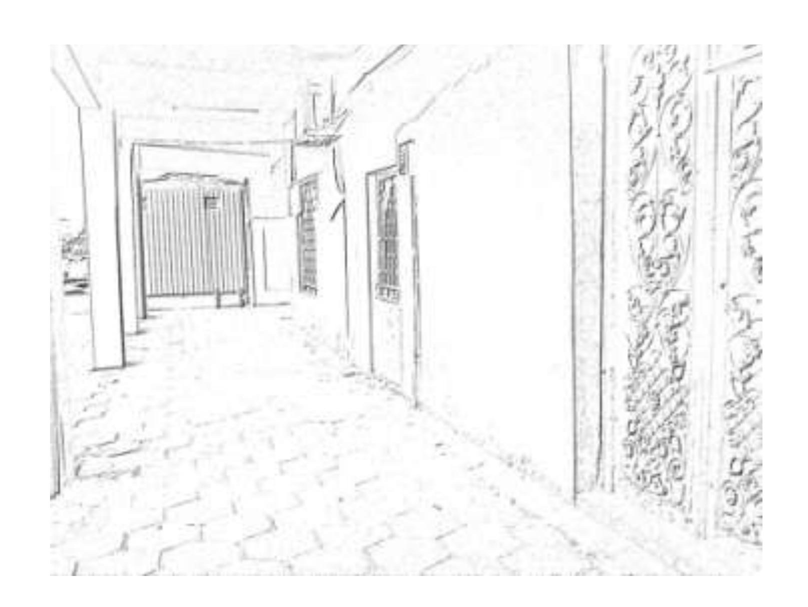






وهم أُمّ

قالت حسنة لزميلتها ضحى وهما تتمشيان في فناء المدرسة: أعيش وحيدة مع أولادي الثلاثة، هاتي أولادك وتعالوا اقضوا يومًا معنا!



اتفقتا على أن يُحضِر زوج ضحى زوجته والأولاد عند باب المدرسة يوم الجمعة الساعة الثالثة عصرًا، وتأتي حسنة لتصحبهم إلى بيتها

القابع في شارعٍ ضيق غير معبَّد، وعلى أن يأتي الزوج مرة أخرى في العاشرة مساءً لأخذهم.

قالت ضحى لحسنة :

– لماذا لم يأتِ الأولاد معكِ؟

– ينتظرون أولادك في البيت، هم يخجلون من الناس البالغين، تعوّدوا على ذلك، لا يخالطون إلا الذين في سنهم، هذه طبيعة أطفال الضواحي البعيدة، نحن في هذه الضاحية لنا قوانيننا التي تفرق بين الكبار والصغار، أنا شخصيًّا لا أحبذها، لكن أطفالي اكتسبوها من بيئتهم، أنتم في المدينة لا تلزمون أطفالكم بهذا... أطفالي سيسعدون بأطفالك منذ وقت طويل لم يلعب معهم أحد في سنهم.

– في سنهم فقط، الطريق حتى الآن يقول في سنهم ومن غير سنهم، من أين تخرج طالبات المدرسة؟!

– على فكرة! ما الذي تمَّ بخصوص طلب نقلك إلى مدرسة في مدينتك؟

– تعبتُ من المراجعات والتردد على إدارة التعليم، ليس هناك جديد، والمصيبة؛ لا تؤاخذيني على ما سأقول؛ لم أتصوّر يومًا من الأيام أن يتم نقلي لأعمل في ضاحية لم أسمع بها، ولم أكن أعلم أنه لا تزال في هذا الزمان مناطق مثل هذه الضاحية، ضاحية معزولة ومهجورة، عبارة عن فضاء واسع من تراب، خالية من

مظاهر الحياة، لا يوجد بها إلا عشرات المنازل المتفرقة، ومدرسة بائسة، أقضي فيها عقوبة تقدير مقبول.

ضحكت حسنة وقالت:

- هذا تقدير مَن توقَّت موعد ولادتها مع موسم الامتحانات.

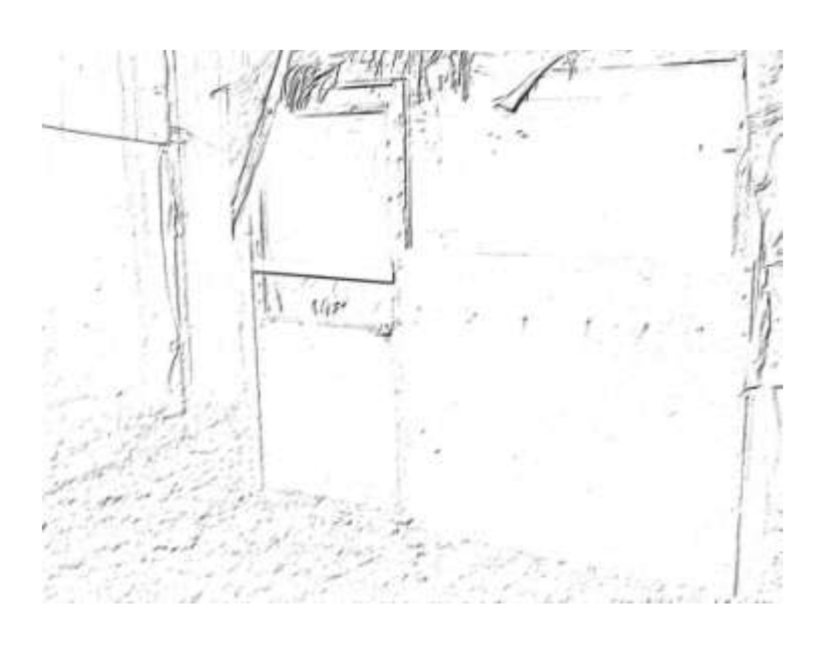
- غريبة! كيف عرفت؟

- سمعتك تقولين هذا للمديرة.

- على سيرة المنازل أين بيتك؟ لقد قطعنا مشوارًا طويلاً ولم يظهر!

- بقي القليل، أرجو ألا يكون أولادك قد تعبوا!

ولاح بيت صغير من الطين بباب قصير. دخلوا وعبارات الترحيب تسبقهم.





جلستْ المعلمة ضحى وأطفالها وذهبت حسنة إلى المطبخ وأحضرت الفاكهة والكعك والبسكويت والمكسرات والأشربة الحارة والباردة، وقالت:

- تعالوا يا أولاد، أطفالي في انتظاركم في غرفتهم سيطلعونكم على أجهزة اللعب الجديدة.

وقالت لضحى:

- على إذنك سأشبك جهاز اللعب إنه نوع جديد نزل في الأسواق حديثًا.

أدخلت الثلاثة على شكل طابور الأول خلف الثاني لضيق الباب ثم خدَّرت الأخير بوضع مخدر على أنفه، وهي ممسكة به -حتى لا يسقط- وضعت الخرقة على أنف الثاني وحين التفت الثالثُ لاقته الخرقةُ في أنفه، سحبتهم وحملت كل واحد ووضعته على طاولة مقابلة لسرير من أسِّرة أبنائها الثلاثة ومدَّتْ أنبوبًا بلاستيكيًّا لنقل الدم من ذراع كل طفل من الأطفال الثلاثة إلى ذراع كل طفل من أطفالها، ثم خرجت إلى الأم:

- آسفة على التأخير كنت أصلح توصيلات الجهاز الكثيرة المعقدة. وضعت وجبات خفيفة في طبق وقالت: سأذهب بها إلى الأطفال في الغرفة. ثم عادت وتحدثتا وشربتا وأكلتا وضحكتا على مواقف بعض المدرسات مع المديرة والطالبات، وقالت حسنة:

- سأطبخ لكم في العشاء أكلة شعبية مشهورة في الضاحية.

ردَّتْ ضحى:

- بشرط أن تصطحبينني معك في تحضير الطبخة في المطبخ.

جاء وقت الغروب، قالت حسنة:

- ألا تودين السلام على أولادي؟!

- لا أحب إحراج الأطفال وإيذاء مشاعرهم، طالما قلتِ لي عن خجلهم وعدم اختلاطهم بالأشخاص الكبار.

- أظنهم بعد هذه الفترة الطويلة من الجلوس مع أطفالك واللعب معهم قد يقبلونك كبالغة من طرفهم.

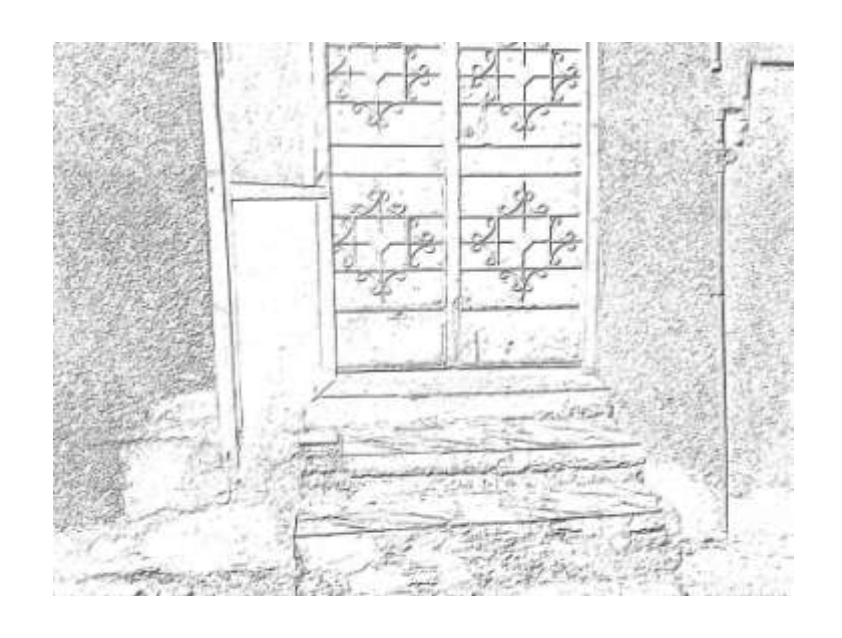
دخلتْ ورأت مشهد ستة الأطفال المتمددين كل طفل يوازي طفلاً، تقدمت دارتْ عيناها في المشهد جيدًا؛ أنابيب نقل دم، أطفال زُرق، متجمدين جفت عروقهم من الدماء فارقوا الحياة، أجساد خامدة، فقدت صوابها، أصابها الجنون، لم تصرخ ولم تبكِ، ولم تنطق بكلمة لُحسَ عقلها، أجلستها على الكرسي وربطتها، لم تشعر بنفسها ولا بالدنيا من حولها، تنظر فقط إلى الأسِّرة الثلاثة.

في الساعة العاشرة كانت حسنة تقف عند المدرسة ومعها هاتف ضحى تطلب منه هاتف الزوج، ومن دون تحيات قالت:

- أين أنت الآن يا أستاذ علي؟

- أهلاً.. هأنذا سأدخل ناحية المدرسة خمس دقائق وأكون عند الباب.. أين ضحى والأولاد؟

- هاهم.. ضحى مشغولة مع الأطفال تربط حذاء أحدهم.



بعد خمس دقائق وقفت سيارة ونزل الرجل مستغربًا فلم يرَ إلا امرأة واحدة تقف عند المدرسة: أين ضحى والأولاد؟!

– تعال معي.. ينتظرونك في البيت!

ركبا السيارة. قال الزوج وهو ينظر إلى هاتف زوجته بيد المرأة:

– ما الذي يحدث؟.. ألم تكن ضحى معك مشغولة بالأولاد؟.. أرجوكِ حدثيني! هل حدث لهم مكروه؟ أنا قلق من عدم مجيئهم معكِ.

قالت:

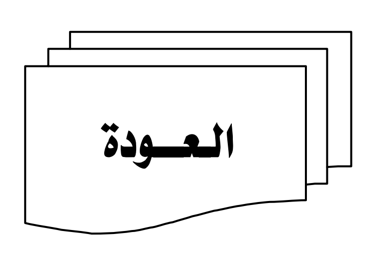
– هم بخير.. سترى بنفسك.. سقْ!

وبدأت توجيهَه في طريق طويل مظلم خالٍ، وفي اتجاه غير اتجاه بيتها، وحيثما شعرت أنهما بعيدان عن الضاحية غرست نصل سكينة في ظهره من جهة اليسار، وبدأ ينزف حتى فارق الحياة، أخذت مكانه وقادت السيارة إلى بيتها.

نزلت من السيارة وسحبت جثة الرجل ودخلت بها في غرفة الأطفال، والمرأة مازالت مذهولة فاقدة الذهن مربوطة بالكرسي، رمت جثة الرجل الغارقة بالدماء تحت أقدام الزوجة، فكت أنابيب نقل الدم وشرعت تنادي أطفالها:

– مرزوق.. فرج.. سعدية! هيا انهضوا! قد عَوَّضتُ دماءَكم النازفة بدماء جديدة.. ألم يقل الطبيب "إن سبب وفاتكم هبوط في الدورة الدموية نتيجة النزف الشديد" هيا اصحوا!

بلا ضجيج ولا حراك ظلت تنفذ ولعدة أسابيع من بيت طين يبعد عن ضاحية منزوية عشرات الأمتار رائحةٌ عفنة لم يشمها إلا السائب من الكلاب.

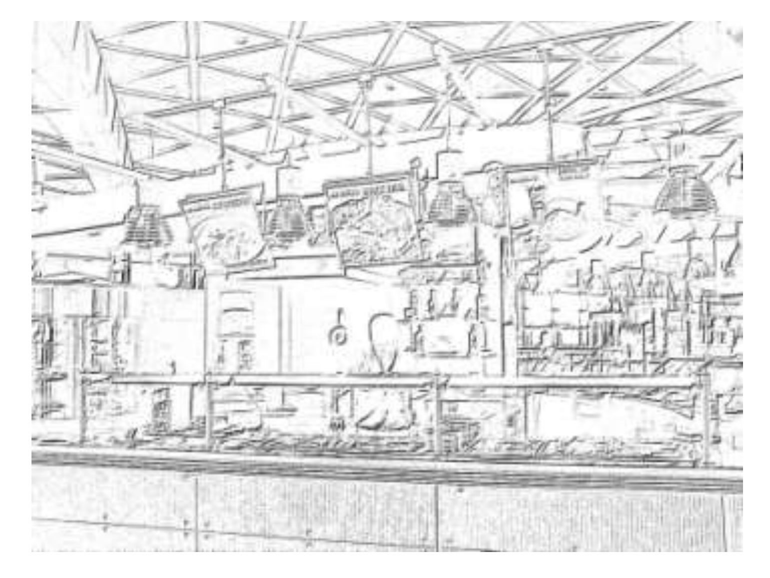


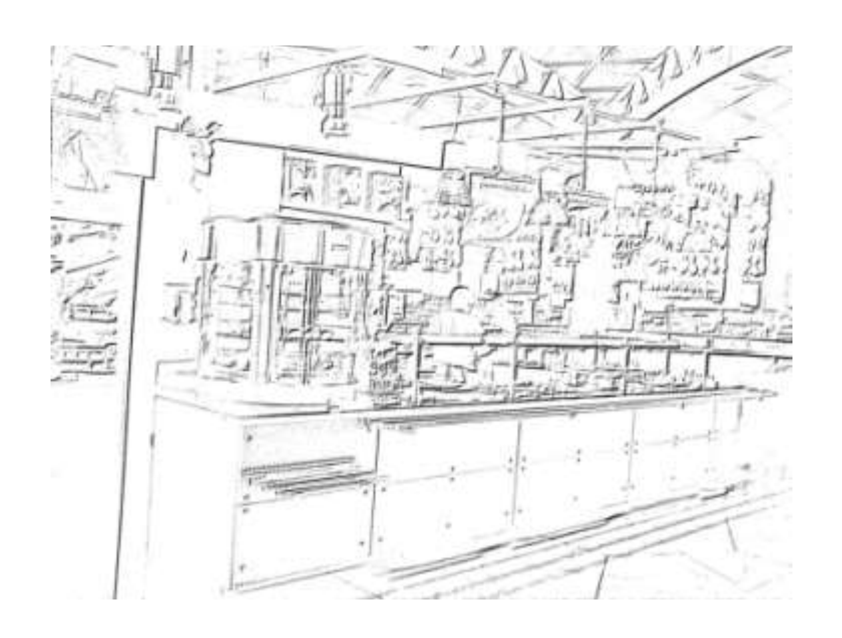
أُدخل رأسُها في الكيس وغطَّى سواده ما حولها وتراءت لها في الظلام أمها وهي تجلس على الكرسي أمام حمَّامات النساء في المول الكبير لتمدهنَّ بأوراق المناديل والصابون أو تحفظ لهنَّ غرضًا؛ حقيبةً أو عباءةً، وكانت لا ترى يدَ أمِها، التي تصحبها في بعض الأحيان هي وأختها إلى المول، بعد هذه الجلسة الطويلة أمام الحمامات وتدفق النساء طوال فترة المول على الحمامات تُرفع لامرأة لتنقدها القليل من الريالات إلا كل مرة من عشرات المرات.

استدارتا على طاولات المطاعم ومحلات الوجبات السريعة، كعادتهما عندما تصحبهما أمهما إلى المول، لتشربا بقايا أكواب الكوكاكولا، لكنهما اليوم لم تجدا الكثير من البقايا؛ قررتا الذهاب إلى أمهما لطلب نقود؛ فلم تكن حصيلتها من الجلوس الطويل أمام الحمامات إلا أربعة ريالات.

قالت أختها: أربعة ريالات لا تكفي لشراء كوبين من البيبسي. سألتا امرأة، تجلس في إحدى استراحات المول تتناول وجبة وكان معها

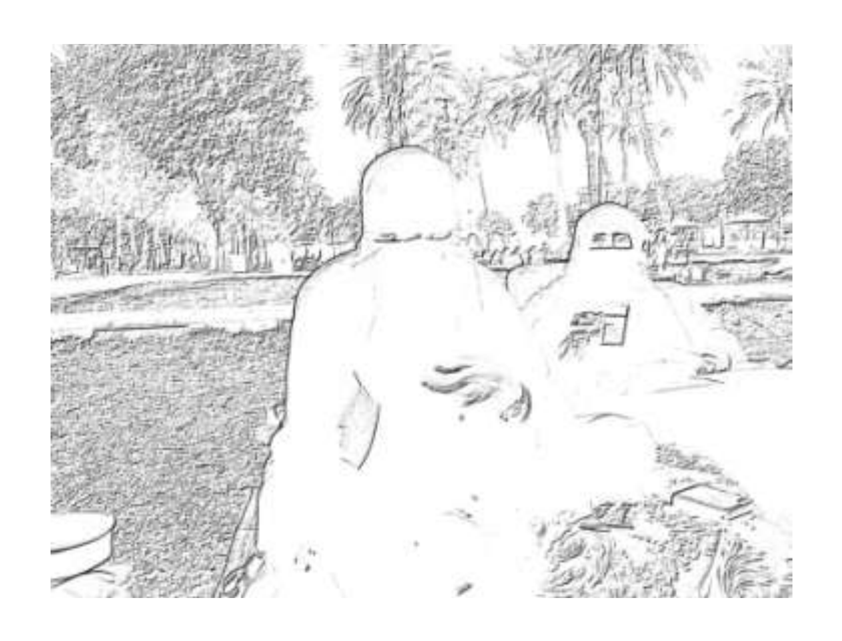
ذلك الكوب الكبير من البيبسي، عن سعره، فقالت حصلت عليه مع وجبة متكاملة دفعت فيها خمسة وعشرين ريالاً قيمة الوجبة. ذهبتا إلى بائع الوجبات الخفيفة وطلبتا كوبين من الكوكاكولا، قال: الكوب الواحد بثلاثة ريالات. قالت أختها: لماذا لا نشتري علبة بيبسي بدلاً من الكوب، الواحدة بريالين بذلك نحصل على اثنتين. قالت: لا، أريد كوبًا كبيرًا مليئًا بالثلج وله مصاصة، لأني ذات مرة مررتُ بجوار طاولة تركها أصحابها بعد تناول وجباتهم ولم يصلها بعد نادل التنظيف وشربتُ ما قد تبقّى فيه من الكولا، كانت لذيذة بشكل غريب، لا يشبه طعمُها طعمَ كولا العلب؛ يقرقر الثلج فيه وتدفع المصاصة السائل البارد من قعر الكوب ليمر باللسان ويلتصق حلاه فيه، ليس كالعلبة تدفعه مباشرة للحلق.



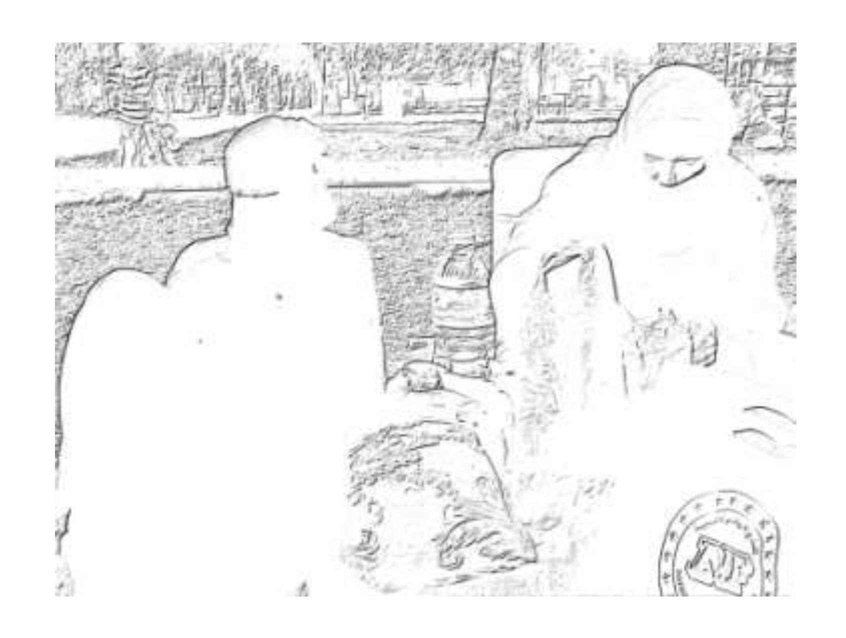


اتفقتا أخيرًا على شراء كوب واحد لكلتيهما. جلستا على إحدى عتبات المحلات وبينهما الكوب الكبير الملىء بالثلج تتسابق أيديهما على رفعه لشفط، عبر المصاصة الكبيرة، ذلك السائل السكري المثلج. قالت: دعينا نخرج ونشرب الكولا خارج المول هنا المكيفات شديدة البرودة، والطفلة هناك تنظر إلينا متعجبة من الكوب الواحد لاثنين.

جلستا على حافة رصيف من أرصفة الشارع وبينهما كوب الكولا وكانت تجلس خلفهما على الرصيف نفسه امرأة كلما مر بها مارٌّ أسقط في يدها نقودًا، ولاحظتا أنها عندما يفرغ الرصيف لدقائق من المارة تفتح حقيبة وتضع الفلوس.



قالت لأختها: انظري في الدقائق القليلة التي جلسنا فيها حصلت ربما على مئة ريال، وأمي التي تنظف الحمامات طوال اليوم وتدعك بلاطها وترش المساحيق المسببة للحساسية وتضغط السيفونات بعد خروج كل امرأة وتجلس لتمد السيدات بالمناديل والصابون وتحفظ لهن حقائبهن وأغراضهن تَمُرُّ الواحدةُ منهن دون أن تضع في يدها ريالاً واحدًا، وهذه تجلس دون عناء ولا مشقة في هواء نقي خال من الروائح وتحصل على كل هذه المبالغ.



بينما تتدافع أيديهما على الكوب الفارغ تمامًا مرَّ بمحاذاتهما رجل فرفعت يدها مازحة ومقلدةً المرأةَ خلفهما، بسرعة ودون انتباه منها وتوقع سحب الرجل من جيبه ثلاثة ريالات ووضعها في يدها وعدَّى دون أن ينظر إليها أو يعطيها اهتمامًا. انفجرتا ضاحكتين، تتمايل إحداهما على الأخرى.



عندما استويتا مع أمهما على مقعد سيارة الأجرة في منتصف الليل وقت إغلاق المول نظرتا إلى الرصيف وتذكرتا الموقف وضحكتا.
وقالت لأمها:

- ماذا تستفيدين من جلوسك قبالة الحمامات وأنت لا تحصلين إلا على الريال والريالين؟

ردَّتْ الأم:

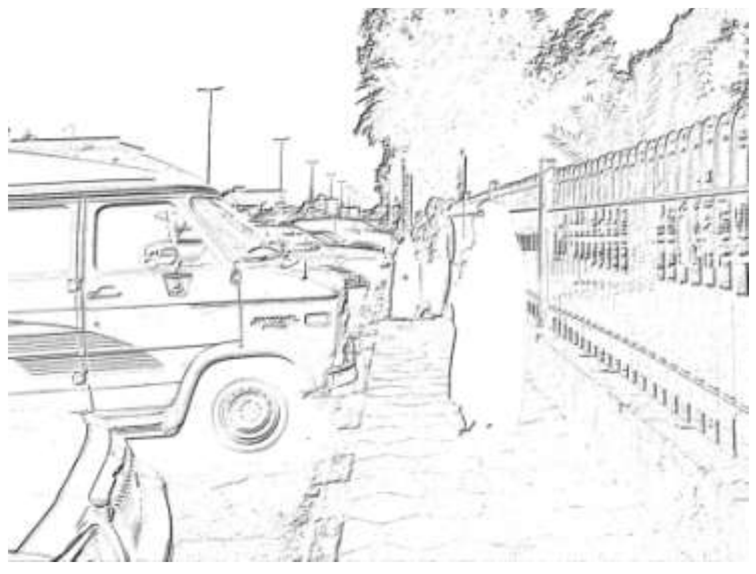
- لي راتب، قولي الحمد لله إن الريال والريالين غيرَ الملزِمات النساءَ بدفعهن ندفعها أجرةً للتاكسي وإلا أكلتْ المشاويرُ الراتبَ.

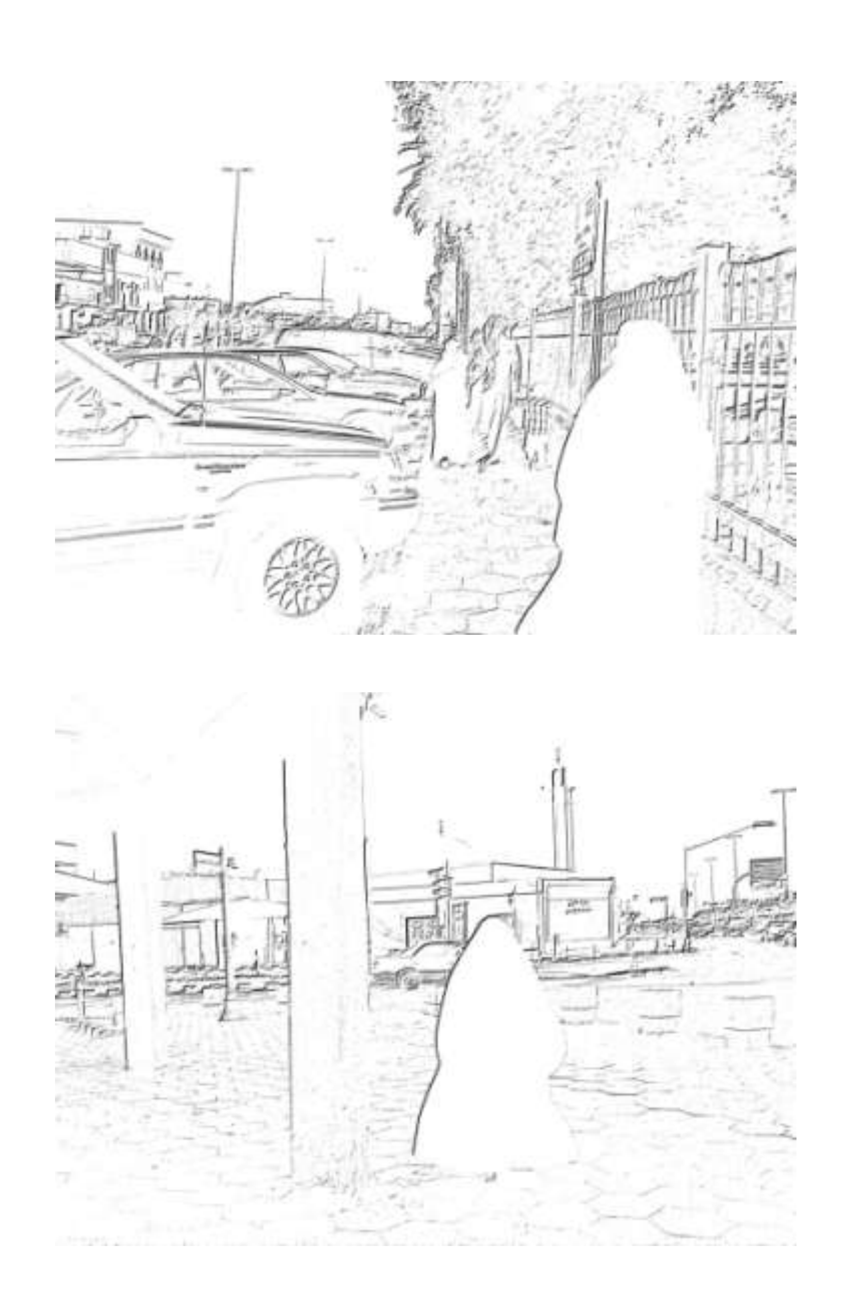
استهوتهما الشحاذة دون علم أمهما كلما صحبتهما معها إلى المول. حتى بعد موت أمهما بثلاث سنوات إذ بقيتا في الغرفة الوحيدة الذي اجتزأ الجصُّ منها مترًا طولاً وعرضًا ليحوي في داخله جُحرًا وسطلاً مُعْبَّأ بالماء لينتهي مسماه بالحمام، وفي إحدى زواياها كَانُونٌ بجانبه صندوق يحوي مواعين جنيت عبر السنين من مكبات القمامة في أحياء الطبقة الوسطى المحيطة بحيهم؛ وهذا ما يسمى بالمطبخ. الغرفة هي ورث الأم وطفلتيها بعد وفاة الأب منذ سنين في الحي الشعبي الفقير المنسي في التعاريج المظلمة للمدينة الشاهقة بالمباني العالية، الحي الذي هجره معظم سكانه من أهل البلد وسكنه بعضُ الجاليات المخالفة القانونَ أو المقيمة قانونيًّا لكن مازالت لم تجمع المال الكافي من العمل لقصر مدة إقامتها في البلد، وبعضُ السكان من أهل البلد الذين أقعدهم ربُّ الأسرة في مجاري هذه الدعاويس المنسية وجحورها الضيقة بسبب إزهاق ماله في المخدرات.

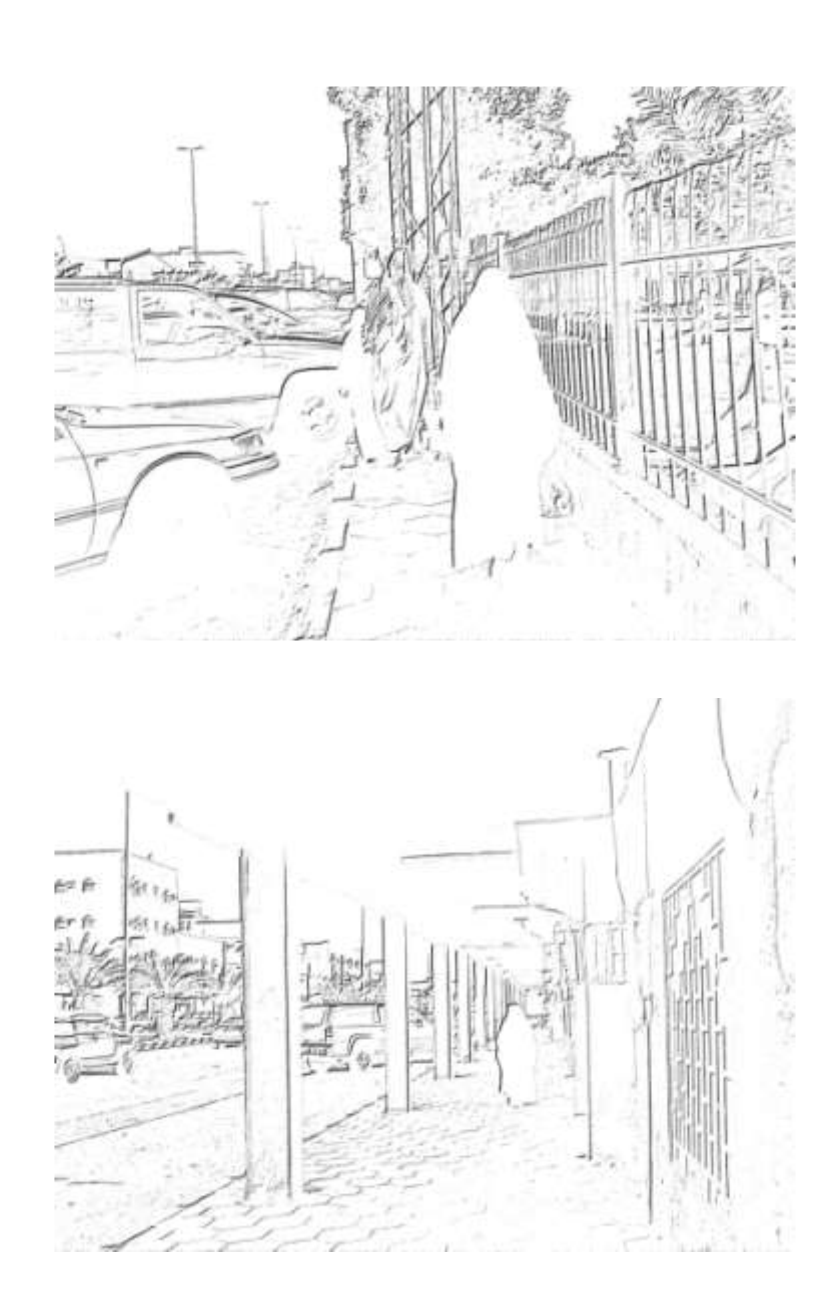


ذات ليلة وهما جالستان تفرقان محصول الشحاذة بعد يوم مديد قضتاه في التكسُّع في الشوارع؛ رأت أنها أحق بالنصيب الأكبر لأنها سعت في مسافات بعيدة وراء الناس وغامرت بالدخول بين السيارات في طريق عام وسريع، لكن أختها رفضت هذه القسمة لأن شرط توزيع النصيب لم ينص على طريقة الشحاذة بل على جمع المال المشحوذ وتقسيمه بينهما. تشاجرتا وتشابكتا بالأيدي وعيّرت الأخت الكبيرة الصغيرة بكلمة جارحة فما كان من الصغيرة إلا أن أخذت المخدة الهريئة المتسخة وألصقتها في وجه أختها، ولم ترفعها إلا وأختها قد فارقت أنفاسُها الحجرةَ وصارت جسدًا جامدًا أزرق.



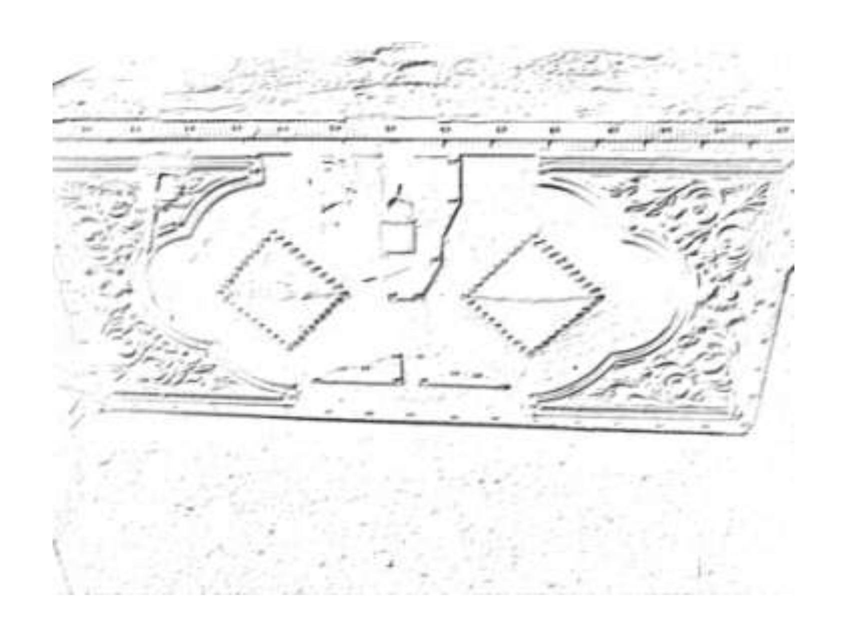


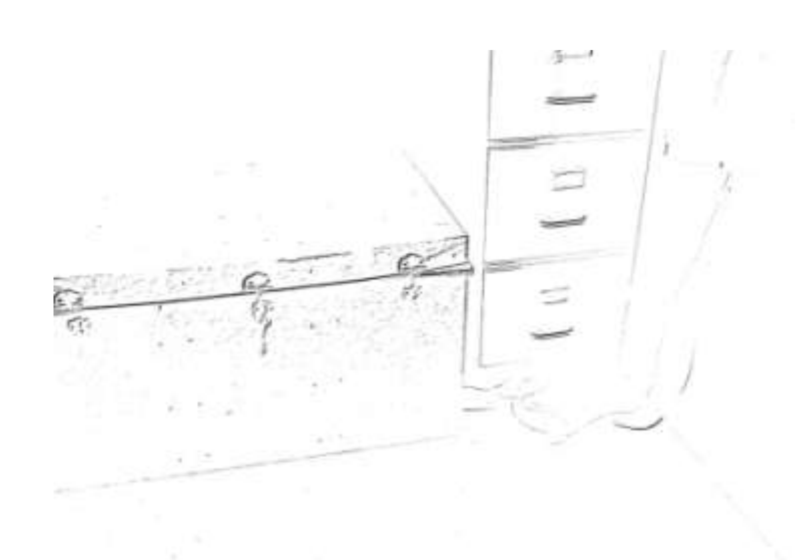






عندما ذهب الغضب لم تشعر بالندم ولا الحزن على أختها وكأن الذي غادر الحياة شيئًا لا يعنيها، بل إنها أحسَّتْ خفةً في الحياة وكثرةً في المال. وجاء إلى عقلها الخالي من أيما معلومة عن التحلل والامتصاص وكل ما يتعلق بالأجساد وفنائها اقتراحٌ هدية من الشيطان عملت بموجبه؛ فاشترت شنطة وملأتها بالتراب ووضعت جسد أختها فيه وركنتها على جدار من جدران الغرفة، التراب الذي لا تعرف هي خصائصه لكنها استلهمته بالفطرة خلصها من رائحة العفونة وسيخلصها من الجسد كاملاً.



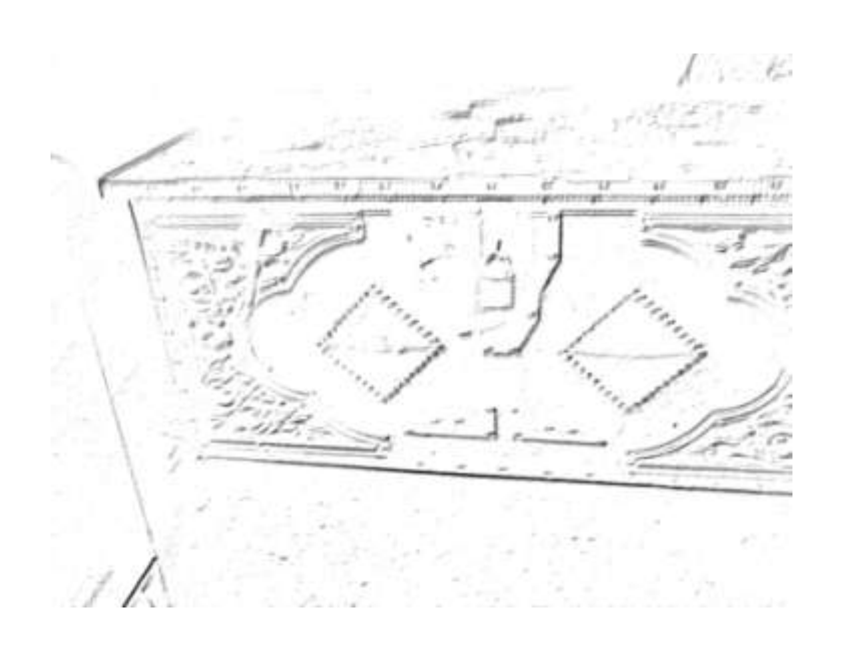


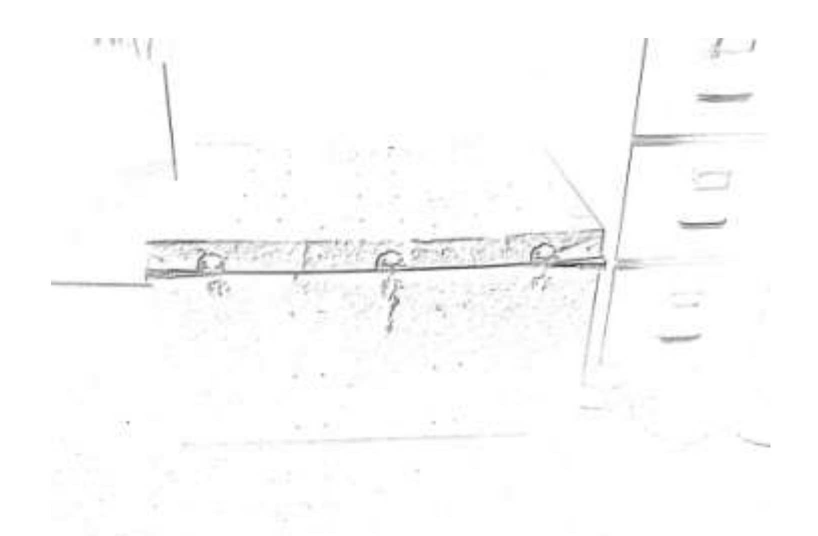
بعد ستة أشهر، أشهر قضتها في حرارة شديدة ورطوبة عالية سمعتْ في عزِّ نومها طرقاتٍ وخبطاتٍ، صحت عليها مفزوعة تنظر في كل اتجاه في الغرفة الضيقة، فلم تتبين مصدر الضربات، وضعت أذنها على باب الغرفة فلم تسمع شيئًا، خافت من أن يكون مصدر هذا الطرق أحد السكارى الذين يملؤون الحارة في نهاية الأسبوع وفي أواخر الليل. رجعت إلى فراشها خائفة من هذا الهاجس. أغمضت عينيها تحت الغطاء بذهن نشط، طيَّر الفزعُ منه النومَ.

في اليوم التالي وهي نائمة، وقد أذهب عنها الدورانُ في الشوارع قلقَ الأمس وحتى التفكير فيه، سمعتْ خبطاتٍ أشدُّ من خبطات الأمس وأعلى، قامت على إثرها تتبع المصدر وقادها صوت

الخبطات إلى الشنطة، تلبّسها الرعب من صاحب الطرقات، والخوف من انكشاف أمرها إذا ظلت هذا الضربات بهذا المستوى المسموع. عزمتْ على ألا تفتح الشنطة حتى يطلع النهار. خفَّتْ الضربات وتباعدت مراتها.

في الصباح قررت تناسي الصوت وأنه سيخمد مع مرور الوقت من تلقاء نفسه، هذا القرار أشعرها بالقوة والارتياح. في الليل قامت مفزوعة من هبدات تضرب غطاء الشنطة فيرتفع.





وضعت المفتاح في القفل وفتحت الشنطة ورفعت الغطاء بسرعة شديدة مبتعدة تجاه باب الغرفة، لم يخرج شيء، انتظرت فلم يظهر شيء، تقدمت على حذر مبقية إحدى رجليها قرب الباب مادَّة الأخرى إلى الشنطة لتنظر داخلها، فإذا كائن حي طويل وعريض يلفُّ جسمَه على شكل دوائر لكبر حجمه مع ضيق المكان. أخرجها الرعب من الغرفة تطلب النجدة من أقرب بيت مسكون في الشارع، فخرج لها أهله ظانين أنها تطلب الإسعاف لأهل بيتها، فلما رأوا الكائن ذا الفقرات العديدة والأرجل الكثيرة بحجمه الضخم غير الطبيعي خافوا الاقتراب منه وطلبوا الدفاع المدني. شكَّ الدفاع المدني في أمر الشنطة المملوءة بالتراب وأحالوا الفتاة لأحد مكاتبهم للاستفسار، ولعجب منظر الكائن أمروا بعدم قتله ونقله إلى مختبر أحياء.

قال طبيب المختبر للضابط: الرطوبة العالية والحرارة الشديدة التي مرَّتْ في الأشهر السابقة مع المكونات العضوية الصادرة من جسم الميتة مع التراب الذي أيضًا له مركبات عضوية شبيهة بالمكونات العضوية للإنسان تكوّن بقدرة الله عز وجل هذا الكائن الحي. وجميع الكائنات الحية خلقها الله تعالى بهذه الطريقة؛ اتركْ بقايا طعام في مكان حصين رطب وحار فإنك ستجد بعد فترة أن كائنات حية خُلقت من المركبات العضوية لهذا الطعام. وعامةً عنصر البروتين إذا وجد في أيما عنصر تحت حالات مناخية معينة قد يُخلق منه كائن حي مثل الحشرات الطائرة، خصوصًا عندما يتعرض هذا البروتين إلى التراب عبر الغبار. وأعتقد أن الله سبحانه قد خلق آدم بهذه الطريقة، وجميع كائنات القبر من خنافس وعقارب وحيات ودود يخلقها الله بهذه الطريقة أي بطريقة التكوُّن وليس بطريقة التزاوج. فلو أنك عزلت جثة إنسان في مكان حصين مثل التابوت أو غيره أو حتى زجاج ستجد ذات يوم وفجأةً كائنات حية هوامَّ وحشراتٍ تتحرك تروح وتجيء؛ تكوّنت بدعم الرطوبة الموجودة في جسد الميت، فإذا أردت إبقاء الشيء بعيدًا عن تكوُّن الكائنات منه؛ جففه من كل رطوبة داخله. وقاعدة وجود التراب على بروتين في جوٍّ رطبٍ حارٍ ليست قاعدة أساسية لخلق كائن حي، لأنك لو وضعت طحينًا في كيس داخل ثلاجة ورجعت له بعد فترة فلربما وجدت كائنات حية خلقها الله مثل السوس. وهذه الدابة الكبيرة التي أمامنا شبيهة بسُرْفة الثمرات ذات المفصليات المتعددة

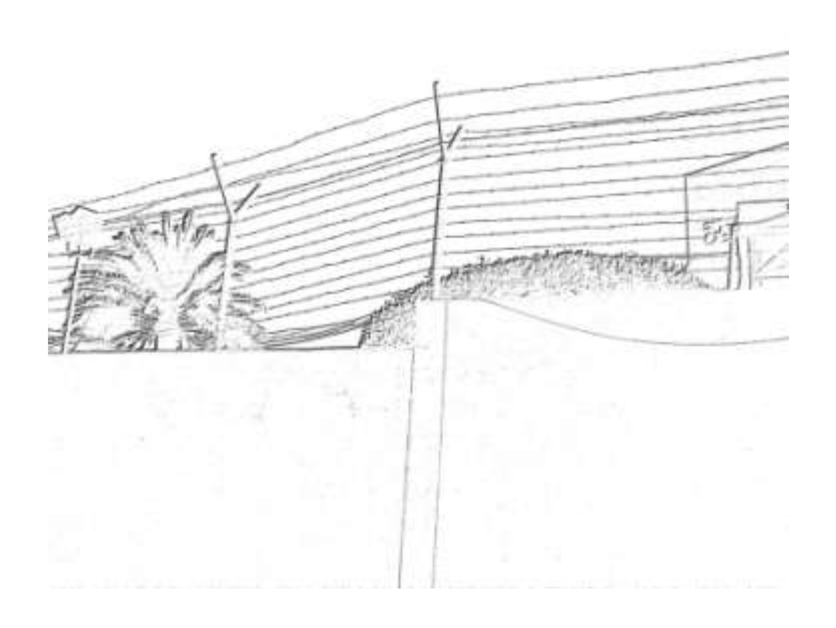
والأرجل الكثيرة، ولكن الاختلاف في الحجم إذ لم أر في حياتي حيوانًا زاحفًا في ضخامته وطوله وعرضه.

قال الشيخ للضابط: ربما لم تكن المتوفاة تصلي، وهذا الكائن هو الثعبان الأقرع المسمى الشجاع الأقرع المختص بتعذيب تارك الصلاة، لكن أرجو ألا تنشر الخبر للعامة لأن صور عذاب القبر لا تظهر للعيان، والله أعلم.

قال الضابط: الروح نفخة أو نفحة الله سبحانه وتعالى، والنفس هي الدم لذلك شربُ الدم محرمٌ في جميع الأديان السماوية لأنه هو النفس. وجسد الكائن الحي يتكون من روح ونفس؛ فأعتقد أن هذا الكائن الحي يحمل روح الأخت المقتولة، وجسد تختلف صفاته التكوينية عن الجسد البشري لأن المركبات العضوية المتكوِّن منها اختلفت تركيباتها واختلفت أجواؤها المناخية.

ودَّع طبيب المختبر الضابط والشيخ وقال: أيًّا يكون، نحن في المختبر سنضع هذا الكائن الحي تحت الملاحظة لدواعي دراسية وبحثية، وأضاف ضاحكًا: وسنطلق عليه لقب أم أربع وأربعين رِجْلا أو السرو الكبير.

عندما صدر حكم الإعدام بحقها طلبت أن تُعدم شنقًا وحين عارضوها لأن هذه الطريقة في الإعدام غير معمول بها في البلد. قالت: البهيمة يُحرَّم خنقها لأنها تؤكل والخنق يحجر الدم ويحجزه في الجسد فيفسد ويتسمم، وأنا لا أظن أن أحدًا سيأكلني إن قُتلتُ.



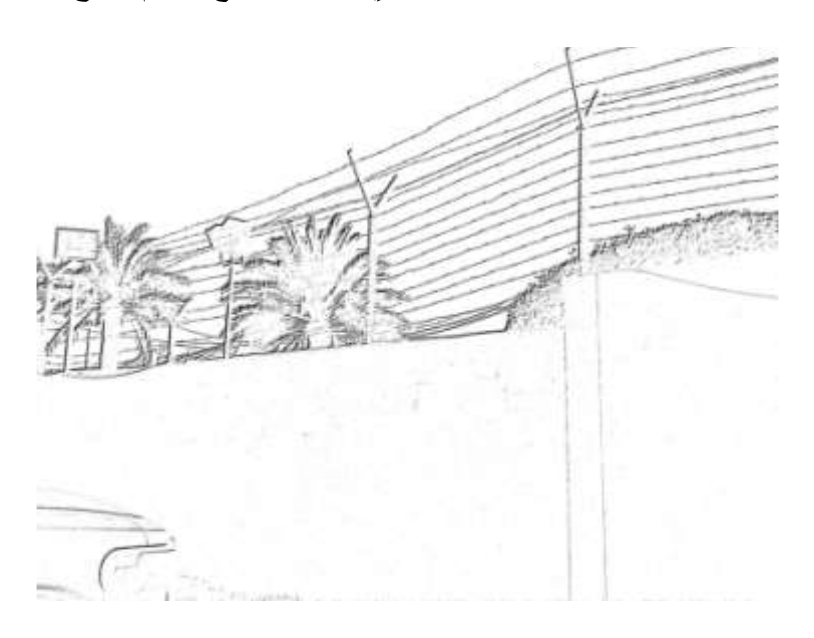
أُدخل رأسُها في الكيس وغطّى سواده ما حولها، الساعة الثامنة صباحًا عندما تأرجح جسدها فحصه الطبيب وقال: سبع دقائق وتخرج الروح.

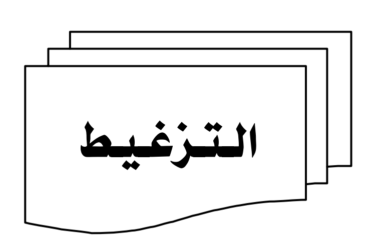
فوجئ مساعد طبيب المختبر عند دخوله المختبر الساعة الثامنة صباحًا بالكائن الفقري الضخم منقلبًا على ظهره بالكاد يحرك أرجله الشعرية الدقيقة والكثيرة جدًا ويتنفس بصعوبة كأنه يحتضر، فاتته ملاحظة الكيفية التي تمت بها طريقة الانقلاب.

أمر الطبيب عندما بقي القلبُ يدق أكثر من سبع دقائق بإحضار مشرط ليكشط الشرايين ليتوقف القلب وتخمد الأنفاس، قشد شرايين

من الرقبة وشرايين من اليدين والرجلين فسالت الدماء المتحجرة وسالت روحها خارج جسدها.

نادى مساعدُ طبيب المختبر رئيسَه وأخبره أن حركة الكائن توقفت تمامًا وأنه دَهِشٌ ومستغربٌ سيلانَ دمٍ من جسده مع أنه لم يُجرح.

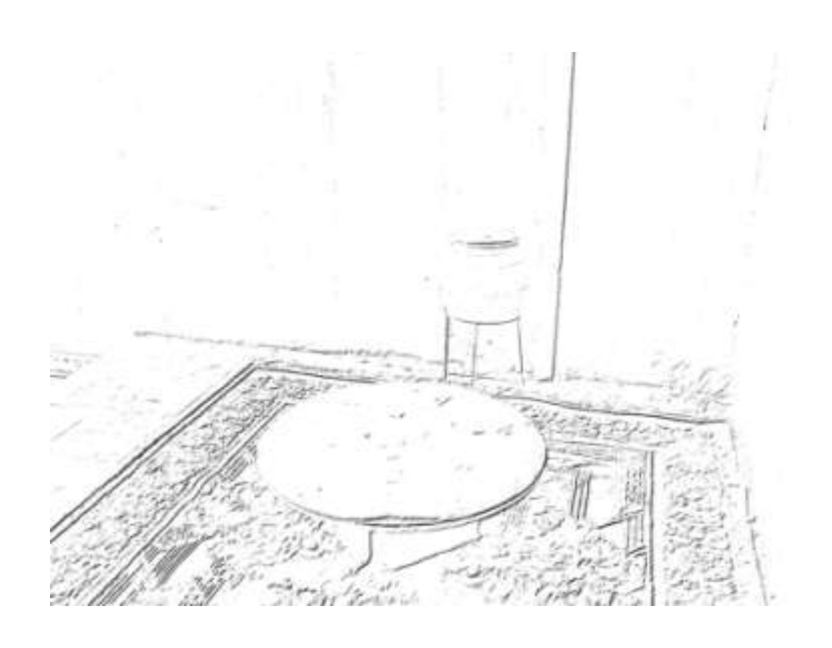


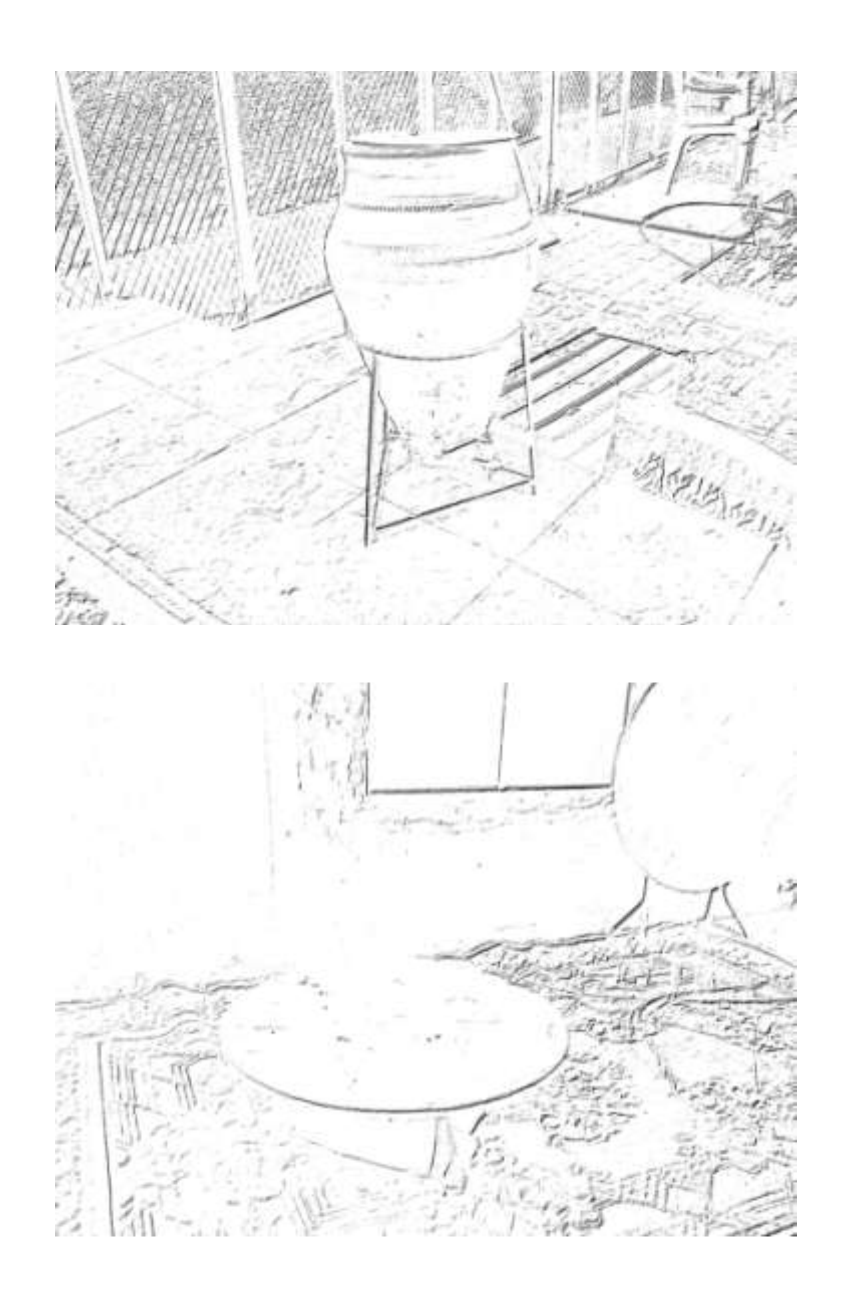


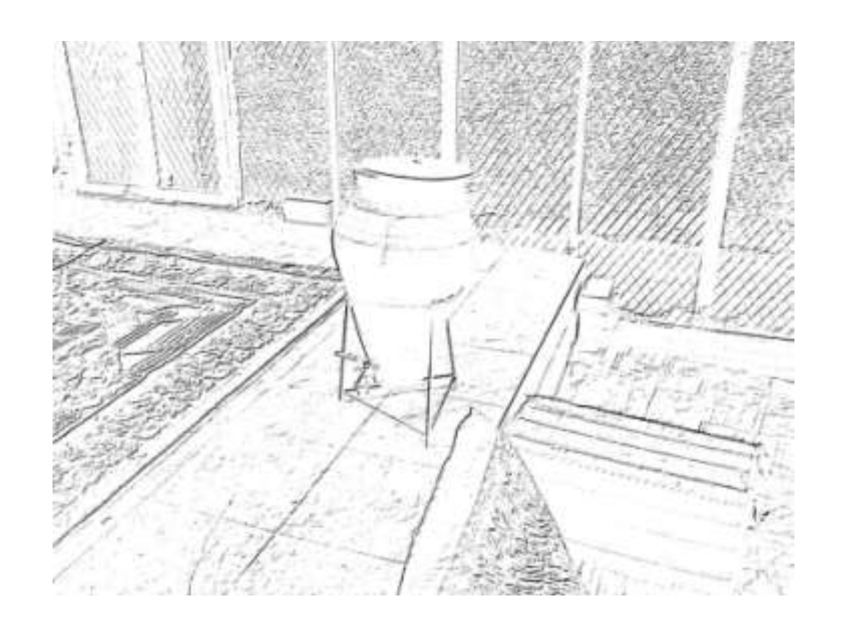
منظرُ زوجته، وهي فاسِرة ثوبَها واضعة البطة بين فخذيها قابضة على منقارها والبطة شاحطة في عنقها تعفُّ برأسها من الألم تحاول إفلات منقارها من قبضة الزوجة التي تغطّ يدها الأخرى في طبق وتبدأ بغفص محتواه ثم بمهارة صانع تخرج كرة خبز مبللة بالماء وتدفسها بمنقار البطة ثم تحزّ بأصابعها على بلعوم البطة لتدفع تلك الكرة الناشبة وتمررها على طول رقبة البطة، لم يكن يمثل له شيئًا سوى زوجة ترعى بيتها بهمة وحماس.

بعد خروجه من الاعتقال المؤقت الذي نصحه فيه محاميه، طالما لا علاقة له ولا معرفة بالشباب الذين ذهبوا من الريف إلى القاهرة لإحداث بعض المشكلات السياسية، بالإضراب عن الطعام. ونصحه زملاءُ الزنزانة بترك عبط المحامين حتى لا يُدفع إلى عذاب الإطعام القسري خصوصًا بعد سماع استحداث طريقة جديدة فيه مستوردة من زبانية جوانتانامو، اقشعر جلده لها وصار يدعك أنفه يستشعر الأنابيب تعبره لتقديم الغذاء.

صرخ في زوجته لتكف عن هذا التعذيب بعدما رأى أن الحالة تطورت من فَسْر الثوب إلى صكّ الزوجة مقصَّ ساقيها على البطة: أليست لها روح تعاف وترغب وتحس ككائنات الله الباقية؟!





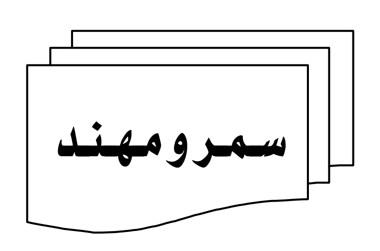


ردَّتْ عليه بالمَثَل: "تموت شبعان ولا تموت جوعان!" وهذا العذاب لن يدوم فأنا أطعمها لتسمن ونذبحها.

- تطعمينها لتذبيحها.

سأل رجلاً من الأمن تطعمونني عنوة وقسرًا لمَ؟ إذا كانت زوجتي تطعم البطة عنوة وقسرًا لتذبحها؟

قال رجل الأمن: نطعمك حتى لا نُتهم بذبحك.



طارتْ روحها في الفضاء تسبح فصادفت روحَ صديقة لها فقالت لها:

– ما شاء الله شكلك بصحة جيدة؛ ممتلئة ولونك مزهر مشرق، مع أنك متِّ وأنتِ غاية في المرض وبعدما تدهورت صحتك!

– نعم، متُّ بالمرض لكن روحي عادت إلى مرحلة قبل إصابتي بالمرض، وأعتقد أن جميع الأرواح التي خرجتْ من الأجساد المريضة ترينها هنا في حالة جيدة؛ في حالة ما قبل المرض.

– ولم لا تقولين إن روحك شفيت من المرض بدلاً من أن تقولي (عادت إلى مرحلة ما قبل المرض)؟!

– لأني في أثناء المرض كرهت عصير البرتقال، والآن أشعر أن نفسي متلهفة إلى كأس من عصير البرتقال. وهناك ما هو أكثر دلالة وأوضح في أن روحي عادت إلى ما قبل مرحلة المرض، هو أن الأشخاص الذين ماتوا بحوادث الطرق وفقدت أعضاؤهم أو قطِّعت جاءوا هنا بكامل أعضائهم أي وهم في مرحلة قبل حدوث الحوادث، وهذا دليل على أن الأنسان تنتهي حياته من الأرض قبل

أن يصاب بالشيء الذي يكون سببًا في موته سواء أكان حادثًا أم مرضًا.

- لكني سمعت أن حياة الإنسان تنتهي قبل موته بأربعين يومًا فقط، حتى أن كتابة أعماله (السيئات) وربما الحسنات تتوقف كتابتها في هذه الفترة.

- المهم.. ماذا فعلتِ في الامتحان؟

- الامتحان؟! كيف أخضع للامتحان وجسدي مازال مسطحًا في المستشفى ينبض تحت الأجهزة، وأنت تعرفين أنه عند الامتحان تُعاد الروح إلى الجسد للسؤال.

- على العموم الأسئلة ثلاثة، وأنت تعتقدينها في الحياة، وستجيبين عليها في الممات.

- لكني خائفة لأني متُّ منتحرة، والمنتحر -كما تعرفين- كافر.

- منتحرة يا ساتر! لماذا؟

- كان اتفاقًا بيني وبين سالم، حتى تلتقي روحانا، حين رفض أهلي وأهله زواجنا أن ننتحر في اليوم نفسه والساعة والدقيقة، وفي أثناء مكالمة تلفونية بلعنا كمية كبيرة من الحبوب... ليتك يا رقية تساعدينني على البحث عنه!

- البحث عن الأرواح سهل. في هذا الطريق تمر جميع الأرواح الجديدة، لأنه مدخل البرزخ؛ لذلك دائمًا أقف عند مدخل الممر المؤدي إليه، فربما يدخل أحد من معارفي، خصوصًا (رغد).

- رغد، لكن (رغد) طفلة.. الأجدر بك انتظار أحد العجائز من أقاربك ومعارفك.

- لا أريد العجائز... يصيبونني بالإحباط والاكتئاب.

- طيب افرضي أن (سالمًا) مر قبلي خصوصًا أني متسطحة في المستشفى منذ عدة أيام.

- حتى ولو؛ الأمر سهل، مع أن المستجدين يسبحون في الفضاء على استحياء؛ بالإمكان...

- انظري هذه (فاطمة) معلمة الرياضيات التي تسكن في شقة.. سعودية وتسكن في شقة.. منذ متى وهي هنا؟

- جاءت قبلي هي وجميع أفراد عائلتها بسبب حريق أو حادث مروري، لا أدري!

- أكيد بسبب حريق.. تذكرين البسكويت بالسمسم؟

- بسكويت بالسمسم؟!

- نعم، الذي تصنعه من السكر، تضع سكرًا وماء في قدر ثم تتركه ليغلي إلى أن...

- دعي السمسم والسكر يا روح ما بعدك روح.

- زعلت؟! أنا آسفة لم أقصد، وأنا مثلك تمامًا، وحالي من حالك.

- أقول لكِ بالإمكان التقاء روح سالم، لكن لا أعتقد أن روح سالم هنا، لأنه بمجرد تمنيك رؤية أحد معين ستجدينه أمامك مباشرة.

- جيد أنكِ قلتِ لي هذه المعلومة، حتى لا أتمنى رؤية عمي (صالح)، وجدي (راشد)، فقد رفضت خطبة ابن عمي صالح، وأخشى أن يقولا رفضت ابننا وانتحرت بسبب آخر.

- لهذه الدرجة تحبين (سالمًا)؟!

- كانوا يسموننا لشدة حبنا (مهندًا وسمر).

- مهند وسمر، قصدك مهندًا ونور.

- أوه، صح.. أنتِ من زمن مهند ونور، لا تَعِيْن مهندًا وسمر.. لا.. الآن بعد مهند ونور هناك مهند وسمر، ومهند وجميلة، ومهند ورشا، ومهند وكل أسماء البنات.. سأجرب وأتمنى رؤية خالتي (طرفة)!

- (سمر) بنت أختي! كيف حال أختي وأمي وبقية إخواني؟

- بخير يا خالتي، أوه يا خالتي، انظري! زوجك (فهد).. منذ متى مات؟

- لا يا سمر لم يمت، هو نائم.

- نعم، يا سمر، هذه الطريقة التي كنت سأحدثكِ عنها لالتقاء الأرواح.

- أوه، يا خالتي نسيتُ أن أعرفك، هذه صديقتي رقية.

- طيب يا بنات، لا مؤاخذة... حبيبتي (سمر) أنا مستعجلة لا بد من أطلب من فهد بعض الطلبات قبل أن يصحو من النوم.

– والآن يا سمر ذكرتُ لك طريقتين الوقوف عند مدخل البرزخ؛ وتقولين ربما سبقك في المجيء. والتمني؛ وها أنتِ تتمنين ولا يظهر. فلم يبق لك إلا الطريقة الثالثة التقاء روحه في حال نومه، وهي طريقة تحتاج إلى بحث.

– في حال نومه.. لا أفهم.

– عندما ينام الإنسان تغادر روحه جسده وتسبح في الفضاء بين السماء والأرض أو ما يطلقون عليه البرزخ؛ وعندئذٍ بإمكان روحك أن تلتقي روح سالم مصادفة، وبمجرد أن يستيقظ تذهب روحه عائدة إلى جسده.

– معنى هذا أن الأرواح التي تسبح هنا أرواح أموات وأحياء نيام.

– نعم.

– ما الفرق بينهما؟

– الفرق بسيط (بالشعور)؛ ستتشعرين بالميت أنه ميت، وستتشعرين بالحي أنه حي.

– يا ويلي، لا أريد أن أرى روحيْ والدي وأخي (محمد) النائمتين! ماذا أفعل؟

– عادي، استخفي!

– رقية، انظري! هذه روح نائمة.

– جيد، كيف عرفت؟!

– شعوري بها أنها حية.

- ممتاز.

- طيب يا سمر، على أذنك سأدخل الممر ربما تمر (رغد) ابنتي.

"أين أنت يا سالم، هل يعقل أنك لم تنفذ وعدك معي ولم تنتحر، هل كنت تخدعني، لا أظن، أنت تحبني أكثر مما أحبك".

• • • •

- سالم.. سالم..

- نعم، سمر.. أهلين.

- سالم أنت حي، لم تمت!

- آسف (سمر) خِفتُ من الموت، والانتحار حرام.

- حرام، ولِمَ لمْ تخبرني أنك لن تنتحر حتى لا أنتحر أنا أيضًا؟!

- سمر.. لأني كنت سأنتحر، ووضعت حبتين في فمي، لكن لم أستطع أن أضع حبوب العلبة كاملة.

- لكن أنا وضعت حبوب العلبة كاملة مرة واحدة في فمي.

- سمر أنتِ طول عمرك شجاعة.

- وأنت جبان.

- سامحيني يا سمر أنا مازلت أحبك، لكن ما باليد حيلة.

- يا جبان يا خائن سأقتلك!

- سمر.. أرجوكِ ارفعي يدكِ عن رقبتي!

- سأخنقك حتى الموت.

- سمر أرجوكِ أني أختنق.

"استيقَظَ من النوم الجبان.. اختفى.. سأجلس لك بالمرصاد، فلربما يوم من الأيام وأنا قابضة على رقبتك يتأخر استيقاظك، وتبقى روحك معي للأبد".

• • • •

- بسم الله الرحمن الرحيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أين الماء يا (نوال)!

- خير إن شاء الله!

- أمي، أين يا نوال؟ تحضر الماء.

- نوال تغسل المواعين.

- أريد رقم مفسر أحلام!

- خير يا ابني، قل لي ماذا رأيت؟

- رأيت سمر تخنقني.

- كابوس يا ولدي، استعذْ بالله، كم مرة قلت لك لا تنام فترة العصر!

- أما زالت سمر في العناية المركزة؟

- الله يكون في عونها وعون أهلها.

- أستطيع أن أذهب لأرها؟

- تذهب، مجنون أنت ونسيت أنك أنت السبب فيما جرى.

- أراها من بعيد، فقط.
- كف الشر يا ولدي! ".

• • • •

- لو سمحتِ يا (آنسة)، كيف حال المريضة (سمر)؟
- اسأل الطبيب المشرف على حالتها! هناك.
- السلام يا دكتور، من فضلك ما آخِر تطورات حالة (سمر)؟
- لا شيء.. كالمعتاد، تحت الجهاز.. أهلها مصرون؛ مادام هناك نبض فهي حية.
- وهل هناك أمل في رجوع الحياة إليها؟
- الله أعلم، لكن علميًّا الموت السريري هو موت حقيقي، ولكن الأهل يتشبثون دائمًا بالأمل.
- شكرًا.
- أهلاً وسهلاً".

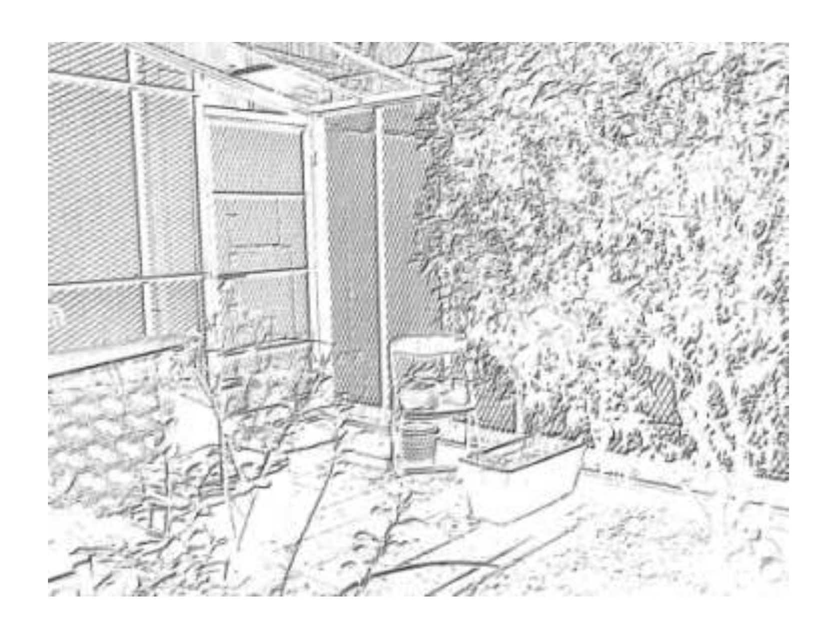
• • • •

- ما لكِ يا سمر حزينة ومنقبضة وشاحبة؟
- لا، أبدًا يا رقية، فقط نزعوا عني الأجهزة، والآن هم ذاهبون بي لعمل مراسيم الجنازة، ومعنى هذا أنه قرب موعد دخول جسدي

القبر ثم عودة روحي له للسؤال، وأنا خائفة من التلعثم خصوصًا أني منتحرة.

- الانتحار شيء، والإجابة على الأسئلة شيء. الانتحار معصية، والأسئلة متعلقة بالعقيدة.

- إن شاء الله أسألُ الله الثبات.





المؤلفة في سطور

- سعاد فهد عمر السعيد
- أديبة وباحثة وناقدة سعودية، من مواليد مدينة الرياض
- حاصلة على الدكتوراه في الآداب، تخصص علم لغة النص
- أستاذ مساعد في كلية الآداب جامعة نورة، قسم اللغة العربية وأدابها
- تشرت في العديد من الصفحات الثقافية

- صدر لها:

- يفرون من رفوف المكتبة: رواية
- الدائرة تكتمل : مجموعة قصصية
- اليشع ابن آخاب : سردية
- ظل الموجة يمتد في الأفق : نصوص
- بخلاء الجاحظ، دراسة تطبيقية في علم لغة النص : دراسة

- البريد الإلكتروني : suaadalsaid@hotmail.com

الفهـرس



(+2) 01288890065 /(+2) 02 27270004

www.shams-group.net